" شعبة من فلسفة العلوم الطبيعية، وتعرّف على أنها فلسفة تبحث في أسرار الكون والظواهر الغريبة وجميع الأمور الغيبية التي لم يجد لها العلماء تفسيرا ، وكلمة (ميتافيزيقيا) نفسها تعني (ما وراء الطبيعة)، ويعتبر الفيلسوف (ارسطو) اول من كتب في هذا المجال عندما قام بتأليف كتابا يتحدث عن أسرار الكون أطلق عليه اسم (الفلسفة الأولى)، إلا انه لم يستخدم مصطلح (ميتافيزيقا) في أي من محاضراته أو كتبه على الإطلاق!! بل جاء هذا المسمى بالصدفة البحتة، فبينما كان تلامذته يصنفون كتبه في مكتبته الخاصة، جاء كتاب (الفلسفة الأولى) مباشرة خلف كتاب (الطبيعة) الشهير – الذي قام بتأليفه (أرسطو) أيضا – فاطلق تلامذته على كتاب (الفلسفة الأولى) اسم: (ميتافيزيقا)، اي (الكتاب الذي جاء ترتيبه بعد كتاب الطبيعة)، ومن هنا جاءت تسمية (ما وراء الطبيعة) لكل الظواهر الغريبة والغيبيات "

من كتاب: "خلف اسوار العلم"

* * *

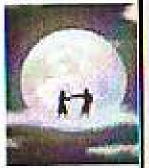

ما هو الحب ؟؟.. يطرح هذا السؤال نفسه على العديد من المحبين والعشاق والعلماء والمختصين والباحثين حول العالم..

فعلى الرغم مما يبدو عليه السؤال من سهولة، إلا أن الإجابة عليه صعبة جدا.. ومعقدة..

فحتى يومنا هذا لم تتفق الموسوعات على تعريف واضح لهذا الانفعال النفسي الغريب.. بل حتى أنها لم تتفق على إنها انفعال نفسي أم حيوي..

و تكتفي اشهر الموسوعات العالمية على تعريف الحب بأنه :

" مجموعة من العواطف والتجارب تعلّقتا بإحساس المودة القوية أو الوحدانية العميقة "

اي أنها بكلمات أبسط، ارتباط معنوي غريب يربط اي شخصين على وجه الأرض.. سواء كان أب وأم.. اخ واخت.. صديق وصديقة.. ذكر وأنثى..

و بعيدا عن أبحاث الفلاسفة وعلماء النفس في هذا المجال – والتي تملأ نتائجها الكتب والمجلات والمنتديات العربية في فضاء الانترنت - دعونا ننظر للموضوع من الناحية العلمية البحتة..

فقد شغل علماء الأحياء والكيمياء انفسهم خلال القرن الماضي في إيجاد صيغة تعريفية واضحة لهذا الانفعال الغريب المسمى بالحب..

كما قامت العديد من المؤسسات العلمية المحترمة والرزينة خلال الربع الأخير من القرن العشرين بدراسة العديد من الانفعالات المختلفة من بينها الحب لتصل في نهاية المطاف إلى عدد من النتائج المذهلة..

اولها أن الحب هو كغيرة من الانفعالات الطبيعية النفسية نتاج طبيعي لتفاعلات كيميائية تجري في جسم الإنسان ومخه بسبب ارتفاع بروتين معين في الجسم يطلق عليه اسم (نيروتروفينز) .

كما وجد الباحثون أن الدوائر العصبية تتوقف عن العمل بشكل طبيعي حين خوض مشاعر الحب، مما يسبب عدم التقييم السليم للأمور.. ولهذا السبب تحديدًا نجد العديد من الأشخاص يتغاضون عن أخطاء من يحبون!..

حتى مشاعر القلق على من نحب ربطت بكيمياء مخنا حيث أشارت اغلب التحاليل إلى أن السبب الرئيسي في ذلك هو إن هرمون (تيستوستيرون) قد يتسبب في تدمير بعض المواد الأساسية فيه، والتي تسبب حالات القلق المختلفة عند العشاق!..

كما عثر العلماء على حقيقة أخرى بعد أن اجروا دراسة واسعة شملت مجموعة من الرجال والنساء وقعوا في الحب وهي إن هرمون (تيستوستيرون) يقل عن معدلاته الطبيعية عند المحبين من الرجال بينما يزيد عند النساء ، كما اشارت دراسة أخرى قامت بها جامعة (لندن كوليدج) إن الوقوع في مصيدة الحب يقع بالفعل تحت تاثير دوائر المط التي تخضع بدورها لكيمياء مجهولة يحاول العلم فك طلاسمها في الوقت الحالي.

و هنا لنا وقفة.. فهذه الدراسة الأخيرة فتحت المجال على نقطة هامة.. وهي إن كيمياء الحب عند الرجال تختلف عنها عند النساء مما أعطى الضوء الأخضر لعدد من الهيئات العلمية للبحث بصورة مكثفة حول فروق مشاعر الحب بين الرجل والمرأة..

فعثر العلماء على نتائج مذهلة تفيد في أن الرجل إنسان متعدد!!

بالفعل أنت لم تخطئ قراءة السطور السابقة، فقد اثبت العلم الحديث أن الرجل بالفعل يستطيع أن يحب أكثر من امراة بنفس الدرجة من الحب في الوقت نفسه!!..

ما قرأتموه ليس استنتاجات فارغة.. بل هي حقائق علمية توصل إليها العلم و قطع بها شوطا.. فمشاعر الرجل مختلفة تماما عن مشاعر المراة، التي لا تستطيع أن تقدم الحب الصادق إلا لرجل واحد فقط.. بينما الرجل يستطيع أن يقدم الحب الصادق نفسه لأكثر من امراة، دون أن ينقص هذا من حبه لأي منهما!!

وهنا يحسم العلم أمرًا آخر جديدا ويفسر لنا لماذا كانت المراة تعتقد عبر العصور بأن من طبع الرجل الخيانة.. بينما لم تفهم هي بعد الكيمياء المختلفة بين الرجل والمراة..

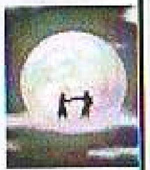

حتى في مملكة الحيوان لاحظ العلماء وجود هذه الحقيقة.. فلقطيع الإناث في العديد من الفصائل ذكر واحد، بينما لا نجد الأنثى تشارك أكثر من ذكر!..

لست احاول هنا تبرير خيانة الرجل للمراة، او أن ادعوا الرجل لخيانة زوجته.. بل اطرح لكم حقائق علمية.. واترك طاولة البحث لكم في هذا المجال، كما حاول العديد من العلماء..

و اكتشف الباحثون أيضا وجود فروق جذرية بين الحب والإعجاب.. فالأول انفعال حيوي، بينما الآخر نفسي بحت..

و في نهاية القرن العشرين حاول عدد من الباحثين في العديد من الدول الأوربية البدء في دراسات، مفادها انه يمكن ابتكار عقارات تتحكم في الحب..

بحيث تقوم هذه العقارات برفع أو خفض درجة الحب بين الأشخاص من خلال التحكم بالهرمونات ، ورغم كون هذه الأبحاث لازالت تسير في مجال اكتشاف عقار (كيوبيد) السحري.. ورغم كون الدراسات تسير في الوقت الحاضر إلى محاولة الكشف عن عناصر هذه الكيمياء الغامضة، في محاولة جادة للتحكم في هذا الانفعال الغريب المسمى بالحب، إلا أن اغلب العلماء والمختصين يراهنون على إن هذه الدراسات ستفشل فشلا ذريعا.. كون الحب انفعال غريب يتحكم به عدد الهرمونات التي لا يمكن السيطرة عليها.

بمعنى أخر لا يمكن أن يستجيب لأي نوع من العقاقير مثل بقية الانفعالات (كالخوف والإكتئاب) التي تستجيب لأنواع معينه من الأدوية..

و هذا رأيي الشخصي أيضا..

و قبل أن نختم هذه المقالة.. سيطرح السؤال نفسه على العديد منكم:

ما دخل الحب في علم ما وراء الطبيعة؟..

السبب بسيط..

و هو كما اشرنا في بداية البحث إن عالم ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقية) يشمل جميع العلوم والدراسات في المجالات التي لم تحسم بعد..

اي انه باختصار هو علم الركض خلف علامات الاستفهام..

و بما أن الحب – كما شاهدنا – لازال مشاعر غامضة نكتشف عنها المزيد يوما بعد يوم وتتضارب حولها الأبحاث بصورة

مثيرة دون أن يجد العلم لها تفسير واضح حتى الآن.. فدعونا نضيفها إذن إلى مثيلاتها من المشاعر الغامضة مثل (ديجافو) وغيرها..

و حتى يتم الكشف عن اغوار هذه المشاعر وانتقالها من خانة علوم ما وراء الطبيعة إلى علم الكيمياء أو الأحياء أو حتى علم النفس..

دعونا نستمتع بهدوء، بحالة اسمها..

الحب..

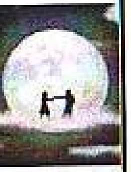

» د.تامر أحمد «

من سيحضر المأذون؟

منذ فترة وانا أعيش قصة حب ملتهبة مع زميلة الدراسة والصبا (علا) التي تعرفت عليها في الجامعة وأحببتها حباً جارفاً من اول وثالث وخامس نظرة ، وأسعدني انها بادلتني نفس الشعور، وقضينا ثلاثة أعوام في حبنا بين حقد الحاسدين وحسد الحاقدين حتى أنهينا الدراسة واعتقدت أنه آن الأوان لكي نرتبط رسمياً.

» علا انا عايز آجي اقابل باباكي

» نعم؟! تقابل بابا .. ليه ؟

» هاخد رايه في تخصيب اليورانيوم الحي .. يعني هاقابله ليه يا علا .. أكيد هاطلب إيدك منه

» تطلب إيدي .. طيب ومستعجل علي إيه ؟

هنا ساورني الشك فالمفترض أن اي فتاة تتعجل هذا اللقاء ، كما اني لم الحظ عليها الفرحة المعتادة لكل فتاة يخبرها فتاها انه في طريق الارتباط الرسمي

» علا .. انا حاسس إنك متغيرة

» مافيش حاجة والله يا كريم .. كل الحكاية إني شايفاك مستعجل شوية .. ليه مش بتاجل المقابلة دي زي كل الولاد؟

» وانتي ليه مش مستعجلة زي كل البنات؟

» أصل بصراحة .. انا خايفة عليك

» من إيه ؟؟

» من بابا

» ليه ؟ هو بابا بيخوف ؟!!

» أصل بابا صعب قوي .. رجل أعمال كبير زيه بيفتكر إن كل واحد بيقرب من بنته يبقي أكيد طمعان فيها

» بس أنا حبيتك من غير ما اعرف إن باباكي غني .. أي نعم حبيتك اكتر لما عرفت، بس انا فعلاً بحبك

» انا عارفة يا كيمو .. بس

» مافيش بس .. انا هاجي اقابل بابا النهارده الساعة سبعة

» ماشي .. انا حذرتك وانت حر

في تمام السابعة كان كريم متانقاً بشدة بعد أن استعار حلة زوج خالته وقميص عمه وجوربه هو شخصياً، وقصد فيلا عبد الحميد بيه والد علا.. كعادة مصرية صميمة لا يجوز مخالفتها كل الأغنياء لديهم خادم زنجي مخصص لفتح الباب و من يخالف هذا يقع تحت طائلة القانون .. ويبدو أن سر عدم القبض علي كل من يسرقون قروضاً من البنوك بدون ضمانات هو وجود خادم زنجي لديهم يفتح الباب .. هذا سبب كاف لإطلاق سراحهم .. فتح زنجيهم الباب ودلف كريم إلي بهو الفيلا ليجد شخصين آخرين في قمة التانق والتالق ينتظران، تفحصهما بنظره يبدوان رجلا أعمال احدهما كان بديناً خفيف الشعر يميل إلي الصلع كرشه الضخم تعلو مع كل شهيق وزفير .. وحتى بدون ان يتنفس فكرشه كانت تبدو ككائن آخر له حركاته المستقلة عن الجسد أما الآخر فكان يبدو كنجم سينمائي.. ممشوق القوام رياضي الجسم وسيم في الثلاثين من عمره وفي المليون من ثروته..

بعد هذا الفحص المبدأي اتخذ كريم مجلسه منتظراً .. لحظات و جاء والد علا الذي بدا لطيفاً وودوداً علي عكس ما كان يتوقع .. رحب بهم ثم جلس

« انا عارف إنكم كلكم جايين تطلبوا إيد علا بنتي

هنا سقط قلب كريم بين فردتي حذائه – حذاء أخيه في الواقع – فالمنافسة بينه وبين ذلك التوم كروز محسومة تماماً لمصلحة توم .. إنهما منافسان إذن .. أن .. أن .. أن .. تِش

« وأنا سعيد بكم جدا .. لكن برضه أنا اب و تهمني مصلحة بنتي عشان كده لازم أعرفكم كويس وأختار الأصلح لها.. وفي البداية الأول أحب أتعرف عليكم ونبدأ بالأسماء

تقدم الأول متنحنحاً وقال بكل ثقة:

« فادي أبو الكرم ابن وزير السياحة الأسبق

نظر له كريم بدهشة وأيقن أنه سيكون الفائز بزواج علا قبل أن يفاجأ بالشاب البدين ذو الشعر الأشهب يقول:

« معتز أبو العز ابن مساعد رئيس البنك الدولي

أسقط في يد كريم الذي وقف بدوره ليقول بوجل:

« كريم ...

كان الموقف يذكره بأيام فصل الابتدائي التعيس حين كان التلاميذ يقفون بالدور ليقولوا أسمائهم وهل قاموا بعمل الواجب أم لا .. وكان دوماً مقصراً ويتحجج بكل الحجج الواهية التي كانت لا تسمن ولا تغني من عقاب .. المنافسان هذه المرة قد قاما بعمل الواجب وزيادة .. تري هل تصلح حجة نسيان الكشكول في غرفة الجدة المريضة بالمستشفي هذه المرة ؟!!

نظر لهم الأب وتابع

« المهنة

« مالك ومدير سلسلة مطاعم عالمية

« مستثمر ذو أسهم عديدة في بورصتي لندن ودبي

« كريم ...

« بصوا يا شباب .. أنتم طبعا كلكم شباب زي الفل .. بس أنا بنتي مش هايخدها أي حد .. أنتم عارفين حواديت ابله فضيلة ؟

« أبله فضيلة !!

« آه مش دي بتاعت كان يا ما كان في سالف العصر والأوان كان فيه ملك .. دايماً الحكاية عن ملك

« بالضبط .. كان فيه ملك عنده بنت وكان متقدم لها ثلاثة أمراء والملك كان محتار يجوزها لمين

« وعمل إيه ؟

« عمل منافسات بينهم اللي يكسب فيها يبقي هو اللي يجيب المأذون و يتجوز الأميرة والبقاء للأصلح

« يعني هاتعمل منافسات بيننا يا عمي

« بالضبط كده

« !وعي تكون ناوي تبعتنا ندور علي بساط الريح والحكيم أصفهان

» ولا الأميرة اللي محتاجة زيت بذرة الكتان عشان تصحي

» انا ماكنتش بحب الحكايات دي عشان كان دايماً ابن الحطاب هو اللي بينتصر علي الأمراء ، وكان كل الحطابين زمان كانوا عباقرة

» وانت معترض علي ايه ؟

» لو الحطابين كانوا عباقرة كده كانوا اصبحوا ملوك ، والأمراء لو اغبياء كده كانوا بقوا حطابين

» لا يا شاطر أنت وهو .. دي مسابقات في مجالات تانية

» مجالات إيه ؟؟

» كل حاجة .. رياضة واقتصاد وادب وفلسفة وكيمياء ومعلومات عامة .. اللي يتجوز علا لازم يتعب .. وانتم عارفين .. من طلب العلا ..

الثلاثة في نفس واحد:

» سهر الليالي

» برافو عليكم .. اشوفكم بكرة الصبح

انصرف الشباب الثلاثة

فادي :

» ايه رايكم يا شباب .. تنسحبوا بكرامتكم بدل ما تتعرضوا للهزيمة ويبقي شكلكم وحش

معتز:

» ممكن الأخ كريم ينسحب .. وانت كمان يا فادي إنما انا مش هانسحب .. أنا واثق من الفوز

» اشمعني ؟

» مش هو قال البقاء للأصلح !!

كريم :

» يا جماعة انتم يمكن عايزين تتجوزوا علا عشان مركز والدها

» وانت عايز تتجوزها ليه يا مواطن .. للقضاء علي العنوسة ؟

» لأ .. أنا هاتجوزها علشان بحبها

» هاها .. حلوة دي يا روميو ..

» يا سيدي حبها براحتك .. أنت حبها وانا هاتجوزها

» دا بعدك .. أنا اللي هاتجوزها

» هي سايبة .. أنا مش هاسيبها أبداً

بعد مشادة حامية انصرف الجميع ، وتوجه كريم إلي بيته.. في الطريق كلمته علا علي المحمول

» أيوة يا علا .. باباكي عامل لنا مسابقات عشان نتجوزك .. ناقص يقول لنا اطلبوا زيرو تسعمية

» معلش يا حبيبي استحمل عشان خاطري

» مانا لو ماكنتش بحبك ماكنتش قبلت الوضع دا..

» اصبر شوية يا حبيبي

» حاضر .. وربنا يستر

» كريم

» نعم

» ذاكر منهج الفيزياء بتاع الثانوية العامة كويس .. ويا ريت تقرا كام مرجع من بتوع كلية العلوم عشان أسئلة بكرة جايه منه .. تصبح علي خير يا حبيبي

» خير .. هي الفيزياء فيها خير .. تصبحي علي ذرة

وصل كريم إلي البيت واخرج منهج الفيزياء للثانوية العامة وغمغم

» يا ربي .. عشان أتجوز أذاكر فيزياء .. يا ليلة سوداء.. أمري لله

في الصباح توجه الشباب الثلاثة إلي مقر شركة عبد الحميد بيه الذي كان يتريض وما أن رآهم حتى تهللت أساريره – هم بيكتبوها كده .. وانا ما اعرفش إيه اساريره دي ولا بتتهلل إزاي أصلاً – ودعاهم إليه

» اهلا شباب .. اتفضلوا .. دي أرقام الجلوس اقعدوا وهاسلمكم دلوقتي أوراق الامتحان

» امتحان ؟؟

» طبعاً .. مش اتفقنا

» بس احنا مش مستعدين

» ما تقلقش .. هي مش ثانوية عامة .. يالا بقي ماتضيعوش وقت

» طيب هانمتحن في إيه؟

» أساسيات وقوانين الفيزياء

معتز :

» قوانين الفيسبا ؟!! يعني الخوذة وحزام الأمان وكده

» فيزياء يا معتز .. علم الطبيعة بالعربي ..

فادي :

» فيزيكس يا معتز

» آاه .. بتاعة رزر فورد وجدول الدوري

» جدول الدوري !! ما علينا .. يالا عشان الامتحان

جلسوا واستلموا كراسات الإجابة وبداوا في حل الامتحان .. انهمك كريم في الكتابة بينما مال فادي علي معتز

» مين نيوتن دا ؟

» دا الجدع بتاع التفاح

» دا أنا كنت فاكره بتاع البانيو

» لا بتاع البانيو كان اسمه أرشميدس

» إيه يا اخي الأسامي الغريبة دي .. هم الفراعنة ماكانش عندهم أسامي سهلة زي هاني ومحسن والناس دي

» اولاً .. دول مش فراعنة دول إغريق .. ثانياً عمرك سمعت عن إغريقي اسمه محسن

» لا

» خلاص .. اتكتم وجاوب أي حاجة

" ماحدش يغش ".. صاح بها عبد الحميد بيه وما هي إلا دقائق وتم تجميع الأوراق

» انا عارف يا اولاد إنكم مش مستعدين .. بس دي كلها معلومات عامة

» معلومات عامة إزاي يا بيه .. بقي قانون الغطس دا معلومات عامة ؟

» أولاً اسمه قانون الطفو .. ودا كل الناس عارفينه

» طب ومسلمة إقليدس

» دي ماكانتش في الامتحان أصلاً .. أنت جبتها منين

» انا قلت احط كل الأسماء الغريبة إللي أعرفها... إقليدس وارشميدس ونتينياهو .. يمكن ننجح

» عموما دا مش الاختبار الوحيد .. دلوقتي اختبار اللياقة البدنية.. غيروا هدومكم عشان عندكم 15 كيلو اختراق ضاحية دلوقتي

» ضاحية !! أستر يا رب

بدأوا الركض بحماس كلهم ولكن حماس معتز فتر بعد عشر ثوان فحسب بينما أكمل كريم وفادي السباق الذي انتهي بحصول فادي علي المركز الأول يليه كريم يليهما بمسافة طويلة معتز البدين الذي كان يعاني الأمرين من كل هذا المجهود الكبير

استقبلهم عبد الحميد بيه

» اهلا أهلا بالأبطال .. عصير يا مرسي

» انا عارف انكم بذلتم مجهود كبير بس كل دا في سبيل علا .. ومن طلب العلا..

الثلاثة في نفس واحد – متقطع من فرط الإجهاد:

» سـ ..هر الليـ .. الي

» هو دا .. عموماً طبعا كل واحد أخد درجات علي السباق دا وفي نهاية المسابقات هانجمع الدرجات وأكتر واحد حاصل علي درجات هو اللي هايجيب المأذون

ساله معتز لاهثاً

» هو لسه فيه مسابقات تاني .. دانا هلكت

» آه طبعا .. لسه بدري .. يالا علي السباحة

» انا مابعرفش أعوووووم

قام عبد الحميد بيه بتحكيم مسابقات السباحة المختلفة من سباحة حرة إلي قفز حر إلي غطس حتى الباليه الإيقاعي وكرة الماء .. تلا هذا تمارين ضغط وبطن وعقلة وجمباز واختبار للكاتا الرابعة في الكاراتيه .. كان التفوق بين كريم وفادي بالتبادل والفشل الذريع كان دوما من نصيب معتز

» دلوقتي آخر اختبار .. المفروض ان المتسابق هايركب حصان من غير لجام وايديه متكتفة وورا ضهره عينيه متغمية و بيجري علي جسر خشب بيتكسر وتحته نار والعة وتعابين وسيوف وعلي الناحية التانية فيه تاج من الماس المفروض يجيبه عشان يلبسه للأميرة .. آآ .. اقصد علا ويتجوزها

نظر له الثلاثة غير مصدقين ما يقول وساله معتز

» يا باشا ممكن أسالك سؤال

» اتفضل

» هو الملك بتاع أبله فضيلة عمل المسابقات دي كلها !!

فيما بعد في أحد المطاعم

» علا .. أنا تعبت قوي

» أنا قلت لك من الأول .. بابا صعب جداً

» المشكلة إنه ماسالش عن أي حاجة لسه .. كلها اختبارات مدرسة الموهوبين

» ما انت موهوب يا حبيبي

» أنا موهوب في حبك .. إنما مش في السباحة والغطس والاعيب السيرك

» معلش يا كيمو .. إحنا ابتدينا المشوار ولازم نكمله

» عشان خاطرك أنتي بس يا علا .. الله يرحمك يا شكوكو

» شكوكو !!

» آه .. أصله زمان قال " الحب بهدلة "

بعد عدة أيام استدعي والد علا الشبان الثلاثة

» أهلاً بالشباب .. بيتهيالي ارتحتم شوية من التمارين الرياضية

» إحنا اتهلكنا يا باشا

» عموماً النهارده أنا عايز أشوف قدرتكم علي الرومانسية

» إزاي يا باشا ؟

» يعني كل واحد دلوقتي ينزل يجيب هدية لعلا عشان عيد ميلادها

قال كريم

» أنا إديتها هدية عيد ميلادها خلاص

» نعم ؟!!

» لالا .. مش قصدي .. قصدي اعتبر سعادتك إن أنا جبتها خلاص

» طيب .. قدامكم ساعة وترجعوا تقولوا لي عملتم إيه

بعد ساعة عاد الثلاثة .. كريم كان يحمل بوكيه ضخم جدا من الورود الحمراء البديعة يتوسطها دب أحمر عليه كلمة (أحبك) بسبع لغات حية.. نظر له فادي ساخراً وساله

» إيه دا يا روميو؟

» دا فلفل رومي

» بجد !!

» يعني شايف الورد هايخرم عينك .. يبقي إيه

» بقي هي دي الهدية

» ايوة .. علا بتموت في الورد الأحمر

» طيب

دخل والد علا عليهم

» حلو قوي دا يا ... قلت لي اسمك إيه ؟

» كريم

» حلو قوي يا كريم

نظر كريم بجانب عينه لفادي وقال

» يعني عجبك يا باشا ؟

» جداً

» سامع يا اللي في بالي

» وانت يا فادي جبت إيه ؟

» حضرتك بص من الشباك وهاتشوف

نظر والد علا من نافذته ليجد الحديقة امام الفيلا وقد تم زرعها بالكامل بالورود الحمراء اليانعة والتي يتوسطها اسم علا بأعواد الفل .. تدلى فك كريم السفلي ببلاهة

» يااااه

» أنت رائع يا فادي

» عشان تعرف .. انا كلي رومانسية

» طيب والأستاذ معتز اخباره إيه معانا ؟

» معتز

» يا باشا انا مش بتاع حركات ولا بص من الشباك ولا رج الإزازة .. اتفضل

وناول والد علا ورقة

» إيه دا

» دا عقد ملكية أكبر حديقة ورد في بلجيكا .. فيها كل انواع وأشكال وألوان الورود هدية متواضعة مني لعلا

» هدية مقبولة يا معتز .. انتم كلكم رومانسيين بنسب مختلفة .. ودا هايخليني مش قادر اقرر لسه مين فيكم اللي هايتجوز علا

قال كريم

» ماتسأل علا يا باشا

» أسألها علي إيه ؟

» عن رأيها وهي تختار حد مننا بدل الاختبارات دي كلها

» وعلا إيه علاقتها بالموضوع دا

» هه ؟

» علا هاتقول رأيها علي اللي انا اشوفه مناسب ، ولو مش موافقة مش هاغصب عليها .. إنما مش هاتتجوز حد انا مش شايفه مناسب.. مفهوم ؟؟

» مفهوم

فيما بعد مع علا

» يا علا كلميه .. قولي له اي حاجة .. الولدين دول هايفرموني بينهم

» ما اقدرش اكلمه .. المفروض إن أنا ما اعرفش أصلاً إن فيه حاجات من دي

» وهو المفروض يبقي فيه حاجات من دي برضه ؟؟ في عرف مين يعني عشان بحب، كل دا يجري لي

» انا قلت لك من الأول

» ما كنتش اعرف إن أبوكي مجنون

» ماتقولش كده عن دادي

» دادي !! انا غلبت أدادي فيه وأحايله بس مافيش فايدة .. دماغة ناشفة

» عموماً لو مش عايز تكمل انت حر

» هو بمزاجي

» أمال بمزاج مين ؟

» قلبي .. قلبي اللي حب وممشيني وراه زي الجاموسة

» بجد .. هاتستحمل عشان بتحبني

» بحبك ومش قادر اتخيل نفسي من غيرك .. بس المنافسة مش متكافئة يا علا وانتي عارفة ظروفي .. دا فيه واحد

جايب لك هدية جنينة ورد في بلجيكا .. مش بعيد لو ابوكي وافق عليه الاقيه اشتري لك إنجلترا وكتبها باسمك

» يا حببي كل دا مش مهم .. المهم إنك بتحبني ومستعد تعمل علشاني اي حاجة .. طيب لو بايديك تشتري لي أنهي بلد هدية جوازنا ؟

» بولاق أبو العلا

» انت بتهزر

» يعني هو أنتي اللي بتتكلمي جد .. أديني باهزر يا علا بدل ما أطق

» طيب ناوي تعمل إيه ؟

» هاعمل ايه يعني .. هاكمل

في اللقاء التالي بوالد علا قال لهم

» النهاردة عايز أقيس مستوي ذكاءكم .. عشان كده الاختبارات هاتكون مختلفة شوية

» مختلفة إزاي يعني ؟

» كلها تمارين ذهنية

» يعني ايه ؟؟

» يعني الأول نسخن كده .. كل واحد ياخد 200 لعبة كلمات متقاطعة و200 سودوكو ويحلهم لحد ما ارجع لكم تاني

» شكوكو !! إيه شكوكو دا

» سودوكو يا معتز .. لعبة ارقام زي الكلمات المتقاطعة كده

قال معتز :

» علي كده حضرتك مسافر بقي

» لأ .. ليه

» اصل يادوب عقبال ما سيادتك تقضي 3 شهور الصيف نكون خلصنا

» قصدك ايه .. كتير عليكم 200 ؟

» يا باشا كتير حتي عشرين

» آه والله يا باشا .. معتز بيتكلم صح

» شباب خرع .. زمان كنا نحل السودوكو واحنا نايمين

» يا عمي هو السودوكو كان طلع أيامكم .. دا الجري كان بالنسبة لكم تكنولوجيا

» طيب يا لمض .. خليهم عشرين كل واحد عشان نصحصح مخكوا قبل الاختبارات التقيلة

» إيه ؟ اختبارات إيه تاني؟

» اشوف مستوي تفكيركم في الشطرنج

صاح كريم :

» لا يا عمي .. من الناحية دي اطمئن خالص .. أنا عبقري في الشطرنج .. عايزني الاعب مين؟ معتز ولا فادي

» كاسباروف

» هه ؟

» كاسباروف .. إيه .. خفت ؟

» لا بس كاسباروف دا بطل العالم في الشطرنج .. هو متقدم لعلا هو كمان ؟!!

» لا طبعاً .. فيه برنامج كمبيوتر مبرمج إنه يلعب وكأن كاسباروف هو اللي بيلعب .. و تبقوا توروني شطارتكم بقي .. عايزكم تكسبوه

» فيه حاجة غير الشطرنج ؟

» شوية الغاز وفوازير بسيطة واختبار مستوي الذكاء وقياس سرعة التفكير والاستجابة العصبية والتوافق العضلي العصبي ودقة اتخاذ القرار .. بس

» عمي

» نعم

» انا كرهت الملك بتاع ابله فضيلة

» يا بني من طلب العلا

» سهر الليالي

» بالضبط كده .. يالا علي الاختبارات

انصرف والد علا في حين مال معتز علي كريم متسائلا

» هي مش سهر الليالي دي اغنية لفيروز ؟؟

» ارحمني يا معتز

فيما بعد في مكتب عبد الحميد بيه

جلس والد علا علي مكتبه يطالع نتائج الاختبارات وأمامه الشبان الثلاثة المترقبون

» هايل .. كلكم مستوي ذكائكم فوق المعدل المطلوب

» ودا معناه إيه؟

» معناه إني برضه مش هاقدر أقرر مين فيكم اللي يتجوز علا من الاختبار دا .. لازم اختبارات تاني

» تاااني

» ايوة طبعاً .. عايز أعرف مهاراتكم في العمل الخيري .. لو معاك مليون جنيه عشان تعمل عمل خيري .. تتصرف بيهم إزاي؟

معتز :

» انا هابني أوتيل خمس نجوم للقطط الضالة اللي يا عيني مش لاقية حد يراعيها

فادي :

» قطط إيه بس .. أنا هاسس جمعية لحماية الحيتان إللي بتنتحر انتحار جماعي ويكون فيها خبراء في الطب النفسي عشان يشوفوا مشاكل الحيتان ونحاول نحلها

كريم :

» هو لازم يعني حيوانات .. أنا هاعمل سلسلة قوافل طبية لقري ومحافظات مصر تعالج الناس الغلابة مجاناً

معتز :

» إيه دا .. هو لسه فيه ناس غلابة ؟

كريم :

» أمال إيه

فادي بدهشة :

» عندنا هنا في إيجيبت ؟

كريم :

» بيس أوف كورس .. يا ابني الغلابة هم المادة الخام للشعب المصري

» والله .. ماكنتش أعرف .. مش فيه وزير من فترة قال إنه هايقضي علي الفقر في سبتمبر اللي فات

» ماهي الحكومة لغت شهر سبتمبر في السنة دي

تدخل عبد الحميد بيه

» كفاية يا ولاد .. مالناش دعوة بالسياسة .. أنا لسه مش قادر أقرر مين فيكم أصلح لعلا

» يعني إيه يا باشا

» يعني لسه فترة الاختبار

» أرجوك كفاية

» بس المرة دي عايز أشوف مهاراتكم الاقتصادية .. اللي يتجوز بنتي لازم يكون عنده فكر اقتصادي ممتاز

» ودي هاتعرفها إزاي ؟

» عايز كل واحد فيكم يفكر إزاي يكسب مليون جنيه في ثلاثة أيام

فادي :

» انا عن نفسي هاعمل مهرجان كبير في سلسلة المطاعم وأعزم مشاهير البلد وأعمل تخفيض 10٪ لكل واحد تتعدي طلباته ألف جنيه .. وطبعا هاكون زودت الأسعار قبلها بنسبة 42٪ علي الأقل

معتز :

» انا هاطلع إشاعة قوية في البورصة إن الشركات بتخسر والأسهم هايقل سعرها .. الناس كلها تبيع وأنا أشتري وبعد كده اتحكم في سعر بيع الأسهم .. ودا مكسب مضمون

كريم :

» انا هاقدم علي معاش مبكر واشتغل علي توك توك

» ودا هايجيب لك مليون جنيه

» آه طبعاً .. بس بعد تلتميت سنة .. يا باشا انا لو أقدر أجيب مليون جنيه في تلات أيام كان زماني بقيت حاجة تانية .. كل اللي اقدر عليه إني أشتغل واجتهد عشان أقدر اعيش

» طبعاً أنا محترم دا جداً .. وأنا أحب الشباب العصامي اللي زيك يا .. قلت لي اسمك إيه ؟

» كريم .. لو مش عاجبك أغيره

» ماعلينا .. آخر اختبار .. سؤال بسيط لكل واحد فيكم

» هو لسه فيه أسئلة تاني ؟!!

» يا ابني من طلب العلا

» يطلع عين أهله.. يا باشا زهقتنا .. طيب لو كنت سميتها نادية كنت هاتقول إيه ؟

» ....

» زمان كنا فاكرين إن من طلب العلا سهر الليالي .. إنما أنت علمتنا إن من طلب العلا يتسحل ويتبهدل ويذاكر ويكره اليوم اللي شاف فيه علا أساساً

» انت إزاي تتكلم كده

» انا مش هاتكلم خلاص .. انا ماشي

» رايح فين ؟

» هاشتكيك لأبله فضيلة

غادر معتز المكان مسرعاً وبقي فادي وكريم

» خسارة .. استعجل .. حد فيكم عايز يمشي ؟؟

» لا يا باشا .. انا مستعد لكل أسئلتك

» وأنا هوايتي المفضلة أساساً هي سهر الليالي

» عظيم .. فادي .. أنت ليه عايز تتجوز بنتي؟

» عشان جميلة ومثقفة وذكية وأبوها راجل عظيم زي سعادتك .. انا متاكد إنها هاتحافظ علي بيتي وتسعدني وهايكون بيننا بيزنيس كبير أنا وسعادتك .. وكله في الآخر لصلحة أحفادك

» وانت هاتقدم لها إيه ؟

» انا وفلوسي وثروتي ومركزي .. بيتهيالي صفقة كويسة

» وأنت يا كريم .. عايز تتجوز بنتي ليه ؟

» علا .. انا لو قلت لك إني بحب علا أبقي كداب .. الحب شعور قليل علي اللي انا حاسس بيه .. علا هي حياتي اللي كنت مستني أعيشها طول عمري .. لحد ما طلع لي الأخوة فادي ومعتز .. انا كل املي إني اتجوز علا وهاعمل كل اللي اقدر عليه عشان أسعدها

» طيب وتفتكر إنك هاتقدر تعيشها في المستوي اللي هي عايشة فيه ؟

» هاحاول أوصلها للمستوي دا وأكتر إن شاء الله .. بس مش من الأول طبعاً .. واحدة واحدة

فكر والد علا طويلاً ثم قال

» بص يا فادي .. انا موافق عليك من ناحية البيزينس.. عايز نعمل شغل مع بعض أوكي .. اما أنت يا أستاذ كريم .. آخر اختبار ليك

دق قلب كريم بعنف قبل أن يردف والد علا

» معاك نمرة المأذون ؟

تهلل وجه كريم بالفرحة

» معايا المأذون نفسه يا باشا .. بس أنت قول آه

» آه يا سيدي

قال فادي :

» كالعادة ابن الحطاب هو اللي بينتصر

وتم زواج الأستاذ (كريم) علي (علا) صاحبته الأنتيم ، في حفل عائلي بهيج .. امتلأ بالفرح والزغاريد .. دُعيَ الجميع فيه .. واستمتعوا بالدي جي .. وأكلوا في البوفيه .. الذي كان فيه الديك .. والفراخ والبفتيك .. وامتلأ الجميع تهللا .. وباركوا لـ (كريم وعلا).. وقضيا شهر العسل .. في بولاق ابو العلا .

» د. نبيل فاروق «

حبيبي

إهداء:

إليك

أنا

1 - الحب..

اول سؤال تتفتح عليه عيوننا، في لحظات الصبا الأولى..

ما هو الحب؟

ما طبيعته؟

وماهيته؟

وحدوده؟

ومع اول خفقة حب في قلوبنا، ننسى كل هذا..

ونحب..

فقط نحب..

فالحب أشبه بنسيم دافئ، في يوم بارد، قارس البرودة، ما أن يشعر به جسدك، وينبض به قلبك، حتى ينتعش كيانك كله، وتتغير كيماوية مشاعرك في لحظة واحدة، وتغرق حتى قمة راسك، في بحر من العواطف، لم تكن تتصور حتى وجوده في أعماقك..

فقديمًا كانت لديك معارف..

وصداقات..

وزمالات..

وجيران..

واقارب..

وأسرة..

ثم فجأة أضيف إلى القائمة ضيف جديد..

حبيب..

شخص ما، لا تكاد تراه، حتى لا يكتفي قلبك بالخفقان، والرقص بين الضلوع، وإنما ينقل نبضاته وخفقاته إلى كل عرق وشريان في جسدك..

بل وكل ذرة في كيانك..

وعندما تتطلع إلى وجهه وعينيه، تتمنى لو انه بحر، وانك سمكة تعيش فيه إلى الأبد، وتحيا وتتنفس من أعماقه..

ولن تمل النظر إليه قط..

وستأمل لو أن عينيك قد التصقتا به، وانتقلتا إليه، واصبح بإمكانهما أن يتابعاه في روحه وغدوه، وليله ونهاره، وصعوده وهبوطه..

وعندما يغيب عن بصرك، ستعدو روحك خلفه وتلهث وراءه، وتترك جسدك دون استئذان، لتلقى نفسها بين ذراعي ظله..

وعندما يختفي من أمام بصرك، سيولد مرة أخرى في عقلك..

في خيالك..

في كيانك..

في وجدانك كله..

ستراه داخلك في كل لحظة، وتشم رائحته في كل مكان، وتشعر بوجوده في كل موقف..

حتى احلامك، ستحوم كلها حوله، معبرة عن شوقك إليه، ولهفتك عليه، وأملك في أن تصحو، لتراه أمام عينيك..

وإذا ما لمسته يومًا، فستشعر وكأن هذه اللمسة قد اطلقت في جسدك تيارًا كهربيًا ناعمًا رقيقًا، ولكن قوته تكفي لإنارة ألف مدينة، لألف ألف عام..

وسيسرى هذا التيار في جسدك طويلاً..

طويلاً جدًا..

وسيضيء نفسك..

وقلبك..

ومشاعرك..

النور سيغمر كيانك، حتى ولو كنت في قلب الظلام وأعماقه..

وقلبك سيشتعل بشعور مبهر..

جسدك كله سينطلق بنشاط لم تعرفه في حياتك أبدًا..

ولن تنسى هذه اللمسة أبدًا..

ستحتضنها أطرافك العصبية، وتختزلها..

وتدمنها..

دومًا ستتمنى أن تحظى بها ثانية..

وأبدًا ستحفرها في عقلك..

ولفترة طويلة ستقدس موضوع تلامسكما، وتعشقه وتغمره بعواطفك وقبلاتك وحنانك..

أما كلمات من تحب، فستبدو لأذنيك كأجمل واعذب موسيقى، في الكون كله..

لحنها سيثب من أذنيك إلى قلبك مباشرة، وستشعر به يرقص على أجمل سيمفونية في الوجود..

سيمفونية لم يملها كيانك قط..

وسيظل يعزفها أبد الدهر..

سيمفونية يقودها قلبك، ويعزفها أوركسترا خلاياك كلها..

إلى أبد الآبدين..

أما ابتسامة الحبيب، فهي دنيا ما بعدها دنيا..

هي أجمل مشهد تراه عيناك..

وأعظم لحظة يعيشها بصرك..

واكبر متعة تحظى بها مشاعرك..

وأسعد لحظة يعيشها كيانك..

ابتسامته هي ابتسامة الدنيا في نظرك..

هي ضحكة الكون..

وفرحة العمر..

وامل كل يوم..

بل هي هدف، ستسعى إليه منذ تفتح عينيك في الصباح، وحتى تغلقهما في الليل..

وحلم إما أن تراه، أو تتمنى رؤيته طوال الوقت..

اما لو بكى من تحب، فستشعر بقلبك يبكى معه..

يبكى دمًا..

دموعه ستصبح حممًا ملتهبة، تلتهم اعصابك ومشاعرك بلا رحمة..

ولن يهدأ لك بال حتى تمسحها..

حتى تمحوها بكل قوتك..

وكل حبك..

وحتى تعود إليه الابتسامة..

وبأي ثمن..

واحلامه ستصبح بالنسبة لك هدفًا، تسعى قبله لتحقيقها

له..

امنياته هي امنياتك..

رغباته كل ما تقاتل من أجله..

كل ما يريده هو امر مباشر لقلبك..

لكيانك..

لقدراتك..

وآه لو نطقت شفتاه بكلمة حب واحدة..

عندئذ ترتجف اذناك، وتنتقل ارتجافتها إلى قلبك، ومشاعرك..

إلى كل خلية في جسدك..

وسيخفق قلبك..

ويخفق..

ويخفق..

ويستمر في الخفقان، ما دامت الكلمة تتردد في أعماقك، وتعربد في وجدانك..

ولن تنساها أبدًا..

أبدًا..

ولن تسأل نفسك لماذا..

فهذا هو الحب..

شعور لا يمكن وصفه بعبارات محدودة..

او حتى في بحر منها..

فهو يحتاج إلى محيط من الحبر..

وشلال من الورق..

وقرون من الدهر..

وموسوعات من الشعر..

وأطنان من الأقلام..

وفيض من المشاعر..

ونهر من الأحاسيس..

وبحيرات من الانفعالات، و..

وقلب يحب!!

قلب واحد، خفق بالحب، يكفي ليمنحنا جواب السؤال..

فهذا هو الحب..

الحب..

كل الحب..

****

2 - أول حب..

في حداثتي، ومع بداية توغلي في عالم الرواية المصرية الساحر، جذبتني بشده عبارة قصيرة، أوردها الأديب الأستاذ (إحسان عبد القدوس) في بداية روايته الشهيرة، الوسادة الخالية التي تحولت إلى فيلم أكثر شهرة..

" في حياة كل منا وهم كبير، يسمى: الحب الأول.. لا تصدق هذا الوهم.. أن حبك الأول هو حبك الأخير!! "

أيامها بالطبع لم أتوقف طويلاً أمام العبارة، ولم أحاول مناقشتها أو تفنيدها ، فما دام الأستاذ (إحسان) كتبها، فهي صحيحة حتمًا!!

ثم مرت بي الأيام، وأصابني ما يصيب كل شباب الدنيا..

أحببت..

أحببت حبي الأول، وعشت فيه بكل كياني، وجوارحي، وعواطفي، وحتى أحلامي

وفي ذلك الحين فقدت التمييز، بين خفقات قلبي، ونبضات

حبي.. ولفترة طويلة، خلتهما قد امتزجا، واختلطا، وصارا كيانا واحدًا لا ينفصم..

وكلما وقع بصري علي محبوبتي - آنذاك - كان قلبي يصرخ بحبها، وأطرافي ترتجف بعشقها، وأنفاسي لا تتنسم سوى هواها..

فقط هواها..

وتصورت أن ذلك الحب سيبقى في قلبي إلى الأبد، ولن يفارقه لحظة واحدة، مادام في صدري نفس يتردد..

ولأن الظروف لم تكن تجمعني بحبيبة قلبي الصغير، إلا لمدة شهر واحد كل عام، فكنت أقضى الأحد عشر شهرًا الأخرى في وله، وهيام، وأحلام، وخيال يرسم الف صورة وصورة للقاء المرتقب، مع نسمات الصيف القادمة..

والطريف أن كل هذا كان يدور في أعماقي وحدي، لأن محبوبتي لم تكن تفكر حتمًا بالأسلوب نفسه..

ولا بالعاطفة نفسها..

صحيح أن ابتسامة كبيرة كانت تملأ وجهها كلما التقينا، ولكنها نفس الابتسامة، التي كانت تمنحها للآخرين، ذكورًا كانوا أو إناث..

ابتسامة عذبة، طيبة، هادئة، كانت أول ما خلب لبى بشانها..

ولست أدرى حتى كيف ذهب كل هذا؟!

كيف تبخر الحب كله دفعة واحدة، ما بين صيف وآخر؟!

كل ما أذكره هو انني قد استيقظت فجاة، في ليلة من ليالي الشتاء، لأجد نفسي غارقا في حب أخرى، يفصلها عن منزلي شارع واحد..

وهذه ليست سيرة ذاتية، بقدر ما هي صورة لما يكون عليه قلب اي شاب صغير، وهو يخوض تجربة حبه الأولى..

ولقد تطورت شخصيتي، ودخلت عليها عشرات التعديلات، خلال سنوات عمري التي تجاوزت الأربعين، والتي شهدت عدة صور من الحب، قبل أن أتوقف ذات يوم، وأعيد قراءة عبارة الأستاذ (إحسان عبد القدوس) مرة ثانية..

وفي تلك المرة الثانية، وجدت نفسي أقف أمام العبارة حائرًا بحق..

فما الذي يعنيه الأستاذ (إحسان) بالضبط؟!

أمن المحتم حقًا أن يكون الحب الأول مجرد وهم؟!

ثم ماذا عن الحب الأخير؟!

ما المقصود بأن الحب الأول هو الحب الأخير؟!

العبارة، من الناحية اللغوية، تقبل معنيين متناقضين تمامًا..

فمن الممكن أن تعنى العبارة ان الحب الوحيد الصادق، في حياة كل مخلوق، هو حبه الفطري الأول، والذي يتم بتلقائية وحرارة،

على نحو لا يمكن أن يتوافر في اي حب تال، مهما بلغت قوته، إذ أنه الخفقة الأولى، في قلب كل محب، والتي تقفز به، من عالم الطفولة، إلى عالم الصبا والشباب واقتحام الحياة..

باختصار، الحب الأول وحده الذي ينتزع عذرية القلب، على نحو لا يتكرر، ولا يمكن أن يتكرر قط..

أو ان العبارة تعنى أن الحب الأول هو الحب الحقيقي، الذي استقر اخيرا في الوجدان، وتغلغل في الكيان، بعد أن اختبر القلب الدنيا، وخاض تجاربها، ثم أدرك في النهاية ما هو الحب؟!

وكيف يحب..

ومتى يدرك أنه أحب..

وحتى لحظة كتابة هذه السطور، ما زلت عاجزًا عن، الجزم، بما كان يعنيه الأستاذ (إحسان) بالضبط من عبارته، إذ انه وحده - رحمه الله - كان باستطاعته تحديد ما يرمى إليه..

ولكنني، وحتما، وبكل ثقة، أختلف، مع أستاذي تماما في اعتبار أن الحب الأول مجرد وهم..

الحب الأول هو أول حب..

ربما ينسى المرء من أحبها، أو تنسى الواحدة من أحبته، بعد أن يفصلهما القدر لسنوات وسنوات، ولكنهما لو التقيا لحظة واحدة، لانزاحت في رأس كل منهما كل ذكريات الدنيا، فيما عدا أن من أمام كل منهما هو حبه الأول..

ربما يفتقر إلى العوامل القوية، اللازمة لبقاء واستمرار اي

حب..

ولكنه لن يصبح أبدا أي حب..

إنه أول حب..

ربما ينسى المرء أنه أحبها، وما، من قوة،يمكنها ان تنتزع عنه هذا اللقب أبدًا..

هذا لا يعنى بالطبع انه سيستمر، او يبقى، او حتى يترك أثرًا في قلب صاحبه، ولكن من المؤكد أنه لن يمضى دون أن يترك خلفه ما يرشد إليه، إذا ما دعت الحاجة إلى هذا..

ربما يترك ضحكة..

أو ابتسامة..

أو حتى لمحة حزن..

المهم انه لن يذهب أبدًا..

فتشوا في أعماقكم بصدق وإخلاص، وستكشفون انني على حق..

حبكم الأول هناك، في بؤرة مظلمة من أعماق قلبكم، ينزوي هناك صامتا، لأنكم تخشون مجرد استرجاعه، حتى لا يفسد هذا حبكم الحالي..

أو حتى القادم..

وأول حب في حياة الإنسان يمنحه نشوة ما بعدها نشوة في حينه، ثم ينتهي دوما على نحو مباغت، او غير متوقع..

ففجأة، يرتبط الطرف الثاني بأخر..

أو يبتعد..

أو حتى ينتقل إلى مكان أخر..

المهم أن أول حب لا يمكن أن يستمر، إلا في حالات بالغة الندرة، إلى حد يكاد يقارب المستحيل..

وهذا أمر حتمي، حتى تستمر الحياة وتتواصل..

لابد أن يتجاوز الشخص - أي شخص - محنة الحب الأول هذه، فالأشخاص الذين يعيشونها أكثر مما ينبغي، تصيبهم العقد النفسية، والمنغصات المعنوية، ويبدأ حاضرهم ومستقبلهم في التآكل رويدًا رويدًا، فلا يعود لهم من حياتهم كلها سوى الماضي.. والماضي وحده..

وما لا يدركه هؤلاء المساكين هو أن مشكلة الحب الأول الرئيسية هي المقاييس والمعايير..

فالمقاييس التي يتم اختيار المحبوب الأول بها تتناسب حتمًا مع العمر الذي يتم فيه هذا الاختيار..

ومع معايير مرحلة المراهقة..

فمع تفتح زهرة القلب لأول حب، تنتبه العين إلى المعايير الشكلية في المقام الأول.. وتنبهر بسرعة..

تنبهر بالجمال، والوسامة، ولون العينين، ونعومة الشعر..

لهذا تجد أن المراهق ينشغل دومًا بالجميلات، والمراهقة تهيم

عشقًا بكل وسيم..

ولهذا أيضًا يبدأ الشباب فجأة في الاهتمام بشكلهم الخارجي ورائحتهم، وحلاوتهم وحتى خفة ظلهم..

ولأن مقاييس الاختيار هنا سطحية ومباشرة أكثر مما ينبغي، فمن غير المنطقي أو العملي أن يتواصل هذا الحب أو يستمر..

حتمًا سينهار وينتهي.. مع أول شعاع من شمس النضج..

أو حتى يتفتت تحت وطأة شكل وسامة، أو وجه أكثر جمالاً وحلاوة..

وهنا يتلقى القلب أول صدمة عاطفية..

صدمة فشل الحب..

أو بمعنى أكثر دقة، صدمة حقيقة ذلك الحب الهش..

ورد الفعل هنا مهم جدًا..

وخطير جدًا..

فقليلون هم من يتجاوزون هذه الصدمة بسرعة، ويلقونها خلف ظهورهم، ويمضون في حياتهم، ليغسلوا جراح أول حب، إما بحب أخر، أو بعمل وجهد ونشاط..

أما الغالبية العظمى، فتقضي وقتًا طويلاً في البكاء على الحب الوهمي الضائع، والعاطفة الزائفة المسكوبة..

وبعد فترة - تطول أو تقصر - تتجاوز النسبة الأعظم، من

المجموعة الأخيرة هذه المحنة..

اما من يبقى، فهو الضحية التي تستحق الرثاء بحق..

الضحية التي ترفض الخروج من المحنة، وتتشبث بها، وتمضى شطرًا طويلاً من عمرها في البكاء، والغضب، والنقمة على الطرف الأخر، الذي لم يدر أبدًا - ربما - ما دار في قلبه يومًا ما..

الضحية التي تهدر حاضرها ومستقبلها، من اجل حب وهمي مضى، فتنقم، وتحزن، وتثور، بل وربما تخطط لانتقام ما أيضا..

كل هذا خطأ في خطأ..

هذا لأن اول حب هو مجرد تجربة لنبض القلب، وتحرير المشاعر، وإشعال العواطف والأحاسيس..

ولكنه ليس نهاية الحياة..

انه فقط البداية..

البداية لقلب جديد، تجاوز على التو مرحلة مرح وعبث الطفولة، ووثب منها إلى مرحلة شباب وانطلاق وحرارة..

مرحلة يأتي فيها حتمًا حب آخر..

وآخر..

وآخر..

وكلما مضت أيام العمر، اختلفت مقاييس ومعايير الحب، وظهرت للقلب أنواع جديدة، والوان جديدة من الحب، و..

ولهذا حديث أخر.

***

3 - وللحب ألوان..

ترى ما لون الحب، الذي يروق له بالضبط؟!

قد يبدو لك السؤال غريبًا عجيبًا، وربما غير منطقي أيضا، بل ومن المحتمل أن تستنكره، وتغضب منه، وتتصور انه مجرد تلاعب لفظي..

ولكن الواقع أن الحب له الوان بالفعل..

والوان الحب ليست ألوانا زاهية، أو واضحة للعين، ولكنها اشبه بقوس قزح، يتألق في عمق القلب، مع انهمار أمطار الحب في العروق..

وكما تميل عين كل منا إلى لون ما، من الوان الطبيعة، يتناسب مع شخصيتنا، ويصلح لتحديد اتجاهاتنا النفسية، كذلك يميل قلب كل منا إلى لون من ألوان الحب يتناسب أيضا مع شخصيته، لتحديد هويته النفسية.

والوان الحب مجرد مصطلح، يرتبط بالشيء الذي جذبنا إلى محبوبنا، أو محبوبتنا، والذي من اجله وقعنا في بحر حبه، وغرقنا داخله حتى النخاع..

واول لون من الوان الحب هو اللون الوردي، أو الحب الرومانسي، الذي ينتبه فيه كل طرف إلى المشاعر الرقيقة لدى الطرف الأخر، وإلى حساسيته، وأحاسيسه، ولمساته، وحتى هيامه واحلامه..

وفي مثل هذا اللون من الحب، يكون للمظهر الخارجي أهمية بالغة، في نظر كل من طرفي حالة الحب، إذ أن النظرة الرومانسية للأمور تحتم ان يكون الطرف الأخر أشبه بنجوم السينما حتى تكتمل الصورة، فلا يمكن لفتاة رومانسية مثلا أن تتصور نفسها في حالة حب مع شخص أصلع سمين، له كرش ضخم، يشف عن اهتمام غير طبيعي بالطعام والشراب، كما يصعب على اي شاب رومانسي أن يرسم صورة حب جميلة مع فتاة بدينة، فطساء الأنف، او غليظة الملامح..

هذا لأن اللون الوردي هو الغالب على كل الأمور..

وعلى كل الأشياء..

والأشخاص الذين يميلون إلى الحب الوردي، يغرقون طويلاً في احلام اليقظة، ويقضون وقتا طويلاً في تخيل لحظات لقاءهم القادمة مع الحبيب، ويرسمون صورة أنيقة جميلة مثالية لها، بل ويكتبون السيناريو الكامل للقاء، من ناحيتهم وحدهم..

ولهذا تكون صدماتهم عنيفة في المعتاد..

فالطرف الأخر قد يكون رومانسيًا بدوره، مما يمنحه الحق في ان يرسم الصورة من وجهة نظره أيضًا..

وعندما يلتقيان، تكون لدى كل منهما صورة رومانسية جميلة وانيقة، وشاعرية، ورقيقة..

ولكنها مختلفة..

والاختلاف بين منظوريهما للأمور، قد يصدم كل منهما، دون أن يقصد الأخر هذا، أو حتى يتمناه..

كل ما في الأمر هو ان كل منهما قد ارتطم بصورة، تخالف تمامًا تلك التي ظل يرسمها في ذهنه طويلاً..

صحيح أنها تكون صورة جميلة أيضًا، ولكنها لا تشبه صورته..

وهذا قد يورث بعض الإحباط..

والضيق..

وربما النفور أيضًا..

ومع مرور الوقت، وتكرار الإحباط، التي لا يفصح عنها الطرفان في المعتاد، تتعاظم الأمور وتمتد، ويصبح من السهل ان يحدث الصدام..

والخلاف..

والفراق في بعض الأحيان..

وهذا يمكن أن يحدث..

ويمكن ألا يحدث أبدًا..

فكثيرًا ما يكون المحب الرومانسي رقيق الشاعر، حتى انه

يأبى إيذاء مشاعر الطرف الأخر..

فيحتمل..

ويحتمل..

ويحتمل..

وربما تكون لديه القدرة على الاحتمال إلى الأبد، مهما كانت الإحباطات والمنغصات..

بل وربما يبذل قصارى جهده أيضا، ليتوافق تماما مع الصورة، التي رسمها له الطرف الأخر..

وفي هذه الحالة سيستمر الحب..

وستستمر الحياة..

ولكنها لن تصبح رومانسية، إلا من طرف واحد..

ومن المحتمل أيضا أن يبدأ الحب الوردي على النحو نفسه..

من طرف واحد..

أن يبدأ الحب بطرف رومانسي، واخر واقعي..

وفي هذه الحالة ستكون الخلافات اكثر..

والإحباطات أضخم..

وفي كل الأحوال من العسير أن يستمر الحب الوردي لفترات طويلة، دون أن يتغير لونه، أو تتغير طبيعته، إذ أن متغيرات الحياة نفسها ستحتم تغيرات جذرية في الحياة، والعمل، والدخل..

وحتى في مشاعر الطرفين أيضا..

الطريف أن كل مخلوق في الدنيا يحلم بحب وردى، ولو لمرة واحدة في العمر، ولكن من النادر في الوقت ذاته، أن تجد حبا ورديا قادرا على الاستمرار، والمقاومة..

والبقاء..

هذا لأن الحب الوردي اشبه بالزهور اليانعة، لا يمكن ان تستمر، وان تحتفظ برونقها وعبيرها، إلا لو واظبت على رعايتها والعناية بها، دون أن تغفل عينك عنها لحظة واحدة..

وفي عالمنا، لا يمكنك ان تعتني بزهرتك الوردية، بكل هذا القدر، دون ان تهمل جوانب اخرى من الحياة، لها أهمية قصوى للاستمرار والتقدم..

هذا يخص الحب الوردي..

فماذا عن الحب الأحمر؟!

الحب الأحمر هو حب قوى..

ناري..

ملتهب..

حب يولى اهتماما كبيرا بالجسد، أكثر مما يوليه للروح..

بمعنى ادق، هو حب غارق في المشاعر الحسية، والمتع الجسدية..

والذين يميلون إلى الحب الأحمر، هم في المعتاد ممن لا يتصورون الحياة أو الحب، دون تلامس بين المحبين..

وهذا التلامس لا يكتفي بمداعبات الأصابع، أو عناق الأيدي، ولكنه ينشد دومًا ما يفوق هذا..

بكثير..

واصحاب الحب الأحمر يميلون دائمًا للأجساد المثالية، التي تشف عن قوة وذروة نوعية..

فالأنثى لا تميل إلا إلى الذكر القوى المفتول العضلات، الخشن الصوت والملامح الصارم في أسلوبه وتعاملاته..

أما الذكر، فلا تجذب انتباهه سوى أنثى مفرطة في الأنوثة، في صوتها، وهيئتها، وقوامها، وحركاتها، وإيماءاتها..

ما ينطبق على الحب الوردي، ينطبق على نحو أكثر وضوحا؛ على الحب الأحمر..

مع فارق واحد..

وفي معظم الأحوال، تكون الأنثى هي الطرف المتسامح، في مثل هذه العلاقة، إذ ان اهتمام الذكر بالعلاقات الجسدية يفوق اهتمام الأنثى بمراحل شتى، حتى أنه في طبيعته الجينية، لا يمكنه أن يكتفي بأنثى واحدة، إلا بصعوبة بالغة، وهذا ما اثبتته الأبحاث العلمية مؤخرًا، عندما أكدت أن جينات الذكر تدفعه إلى التعدد في العلاقات، وفي حين أن جينات الأنثى تدفعها إلى الاستقرار والانفرادية في علاقاتها..

وبالطبع توجد استثناءات لكل قاعدة، ولكن هذا يوضح لنا لماذا احل الله (سبحانه وتعالى) للذكر مثنى وثلاث ورباع، في حين لم يحل للمرأة سوى زوج واحد..

وسيختلف معي البعض بشدة حتمًا، حول هذه النقطة، وستفهمني النساء بالتحديد بأنني ادعو إلى تعدد الزوجات وربما تتهمني بعضهن بالتخلف والهمجية أيضا، كما اعتدن مهاجمة كل من يناقش هذه النقطة، ولكن العلم والدين لا يعرفان المجاملة أو المهادنة..

فالعلم هو العلم..

والدين هو الدين..

ونحن أضعف وأقل من أن نعاند أمرًا كهذا..

ببساطة لأننا نجهل الصورة الكاملة للأمور..

ونجهل أكثر ما الذي يمكن أن يحدث غدًا..

فماذا لو نشبت حرب طاحنة، والتهمت الشطر الأعظم من الذكور، كما تفعل معظم الحروب؟!

ماذا ستفعل النساء عندئذ؟!

ربما لن يكون هناك أمل سوى في التعددية؟!

ربما!!

لا أحد يدرى..

ولا أحد يعلم..

ولهذا ليس من حق أحد أن يهاجم أو يعاند..

ولكن دعنا نعود إلى موضوعنا الرئيسي..

الحب الأحمر..

فهذا الحب هو أسهل حب يمكن أن يذبل وينزوي مع الزمن، ببساطة، لأن الزمن نفسه لن يبقى على مثالية الأجساد، مهما بذل أصحابها من جهد..

ستذبل الأجساد حتمًا مع الوقت..

وتهرم..

وتشيخ..

وتذوى..

ولو أن الحب يرتبط بها وحدها، فسيمر بكل المراحل السابقة.

أو يمر قبلها بمرحلة أكثر خطورة..

مرحلة الاعتياد..

فالحب القائم على الجسد، حب سريع الملل والضجر، وأي مخلوق في الدنيا، مهما امتلك جسدًا رائعًا، لن يلبث أن يبدو عاديًا مألوفًا، بل ومضجرًا أيضًا، في عيني الطرف الأخر، بعد أن يمتلكه بالفعل، ويعتاده، ويفقد حالة الانبهار والانجذاب تجاهه..

ولهذا تفشل معظم حالات الحب الأحمر، لو أنها لا تستند إلى اي امر اخر.. تفشل تمامًا..

وعلى الرغم من أن بعض الإناث تلجأن إلى استثارة الأجساد، كسبيل للإيقاع بحبيب، إلا أنهن يدركن جيدًا، في الوقت ذاته، أن الارتباط الجسدي واه وهش للغاية، لأن المحب لن يلبث أن يعشق

جسدًا أخر، أو يقع في غرام قوام افضل..

أو حتى قوام مختلف..

ولهذا تجد أن معظم الأزمات النفسية من نصيب عشاق الحب الأحمر، لأنهم في حالة تنافس مستمرة، وصراع متصل، للحفاظ على وجودهم، وتفوقهم، وحبهم..

ولا يشعرون بالاستقرار أبدًا..

ومن هذا الجانب يعتبر الحب الأحمر أكثر أنواع الحب تعبًا وإرهاقًا، واسرعها ذبولاً وفناء على الإطلاق..

هذا بخلاف الحب الأخضر..

والحب الأخضر هذا.. هو حب ناضج، يدرك كل طرف فيه مزايا وعيوب الطرف الآخر، ويتقبله بجانبيه، الجيد والرديء، باعتبار أنه ما من إنسان كامل..

بل وما من مخلوق كامل، في الكون كله..

فالكمال لله (سبحانه وتعالى) وحده..

وأصحاب الحب الأخضر هم الأكثر قدرة على تحمل المصاعب، وتجاوز العقبات، وتفادى المصادمات العنيفة، لذا فهم الأقدر على التواصل والاستمرار..

والنجاح..

وفي الحب الأخضر، يتم الاختيار بمزيج من العقل والقلب معًا، فكل طرف يحب شيئًا ما في الطرف الأخر، ويتغاضى عن اشياء

أخرى قد لا تروق له أو تتوافق معه..

وحالات الحب الأخضر قابلة للنجاح أكثر من غيرها بكثير بشرط ألا تكون عيوب احد الطرفين جوهرية او خطيرة، كالبخل الشديد، او العصبية المفرطة، أو العدوانية غير المبررة مثلاً..

فالأنثى مثلاً، يمكن أن تحتمل أي عيوب في الذكر، فيما عدا بخله..

البخل الشديد ينفرها، ويغضبها، ويحنقها، ويجعلها تتصور أنها لا تساوى شيئا في نظر محبوبها..

وفي مراحل صباها ومراهقتها، وأوائل شبابها، قد لا تجيد الأنثى التفرقة بين محدودية دخل المحبوب وطبيعته البخيلة، فتسيء تفسير عجزه المادي عن الإنفاق، باعتباره بخلاً وشحًا..

وقد تغضب..

وتثور..

وتهجر أيضًا..

وفي مرحلة نضجها، ستدرك طبيعة الفرق..

وعندئذ ستتحمل..

وترضى..

وتحب..

هذا لو أنها تميل إلى الحب الأخضر..

الحب الواقعي..

المنطقي..

والمتسامح..

وفي نفس الوقت، الذي نجد فيه ألوانا من الحب، تميل إلى الرومانسية، أو الشهوانية، أو تمزج بين العقل والقلب، نجد ايضًا نوعا من الحب بلا ألوان..

حب أبيض وأسود..

حب واقعي تمامًا، لا يرى من الحياة أي درجة من درجات اللون الرمادي..

يرى فقط اللونين الأساسيين..

الأبيض والأسود..

وهذا اللون من الحب ليس لديه أمور وسط، فكل شيء إما صحيح تمامًا أو خطأ تمامًا..

وسيدهشك أن أصحاب هذا الحب، هم القادرون على التعامل مع كل أصحاب الألوان الأخرى، مادام هذا يحقق مصالحهم، التي يحسبونها دوما بمنتهى الدقة، ولا يتنازلون عن تحقيقها أبدًا..

فالحب في نظرهم مجرد وسيلة، لتحقيق احلامهم وطموحاتهم، مع اقل القليل من التعب والتضحيات..

وأصحاب هذا النوع لا تخفق قلوبهم أبدًا، حتى أنهم قد يبدون كمن لا قلب له ولا مشاعر عنده..

وحتى لو حاولت قلوبهم أن تخفق، فهم يخمدون خفقانها

على الفور ، لأن نبضات القلب والحب عندهم مجرد حماقة، أو نقاط ضعف، لابد من هزيمتها، والتغلب عليها فوزا، وإلا فسدت خططهم، وضاعت أحلامهم إلى الأبد..

ولأنهم لا يحبون أبدا، يكون باستطاعتهم أن يتلاعبوا بمشاعر الطرف الآخر، أيا كان لونه..

فلو أنهم يرتبطون بشخص رومانسي النزعة، تجدهم أساتذة في التعامل بمنتهي الرومانسية والشاعرية والرقة..

ولو كان المحب من هواة الحب الأحمر، سيبذلون كل ذرة في أجسادهم، لإرضائه، وإمتاعه، وخلب لبه..

أما لو أنه من المنتمين إلى الحب الأخضر، فستكون المعركة صعبة إلى حد كبير إذ أن عليهم أن يملأوا عقله وقلبه معًا..

وهم في العادة يفلحون..

ولكن لفترة محدودة..

فترة قد تطول أو تقصر، ولكنها تنتهي بكشف أمرهم حتمًا..

هذا لأنهم لا يحتملون التلون طويلاً..

وإن عاجلاً أو آجلاً.. سينكشف أمرهم..

وتسقط الأقنعة عن وجوههم، ويظهرون على حقيقتهم..

أحيانا في الوقت المناسب..

وغالبًا بعد فوات الأوان..

وعندئذ تحدث الكارثة، وتكون صدمة عنيفة للطرف

الثاني..

ولهذا حديث آخر..

***

4 - حبك نار

هل عرفت يوما ذلك الحب.. النار؟!

الحب الحار..

الساخن..

الملتهب..

ذلك الحب الذي ما أن يدخل قلبك، حتى يشعل النيران في كل خلاياه ويحول الدماء فيه إلى حمم لا تبقى في كيانك ذره واحدة، إلا وتتحرق لهفة لرؤية المحب، ومقابلته، والعيش بين ذراعيه حتى آخر العمر..

وللوهلة الأولى يبدو ذلك الحب أشبه بالحلم الذي يتمنى كل إنسان أن يحياه ولو لليلة واحدة..

الحلم في أن يُحب بكل هذه القوة..

وان يُحَب ايضا بالقوة نفسها..

وقديمًا، كانت قصص الحب من ذلك النوع حيث يغرق

الحبيب في عشق محبوبته منذ اللحظة الأولى، ويمتلكه حبها حتى النخاع، فيقاتل ويخوض غمار الحروب والمعارك، حتى يفوز بها..

أو لمجرد أن يثبت حبه..

وهذه الصورة دائما جميلة وخلابة، وبالذات للجنس الطيف، إذ انه ما من فتاه أو امرأة في العالم، إلا وتتمنى أن يحبها شخص ما كل هذا الحب العاصف الجارف..

وان يذوب عشقا لخطواتها..

وهمساتها..

ولمساتها..

وحتى لمجرد مرآها..

والأنثى، كل أنثى، تجد في هذا الحب كل الراحة..

والاطمئنان..

والسعادة..

والأمان..

ولكن بشرط واحد..

أن تميل إلى من يمنحها كل هذا الحب..

وان يمكنها هي أيضا، على نحو أو آخر، وأن تحبه فإن لم يتحقق هذا الشرط، الأساسي جدا، فالحب نفسه سيتحول في هذه الحالة، إلى نار حقيقية..

نار تلسع..

وتلهب..

وتحرق ايضا..

وسيتحول الحلم نفسه، بادق تفاصيله إلى كابوس..

كابوس بشع، يرتجف المرء كلما آوى إلى فراشه، خشية أن يلتقي به في منامه..

فماذا عن صحوه؟

فالمحب الذي يعشق الآخر بحب نار، لا يمكن أن يقبل بالتنازل عنه أبدًا..

مهما كان الثمن..

ومهما كانت التضحيات..

ومهما بلغت الصعاب..

فإذا لم يظفر به مباشرة فيظل يطارده في إلحاح..

ويقاتل للظفر به..

ويجاهد للفوز بمشاعره..

وبالنسبة للطرف الآخر، ستصبح هذه مشكلة، ما بعدها مشكلة..

وبالذات لو الطرف الثاني هو الأنثى..

فالأنثى تركيبة خاصة جدًا تختلف تمام الاختلاف عن الذكر، في أن مشاعرها قوية..

واضحة..

واثقة..

ومؤكدة..

وهذا بالنسبة لها شخصيًا على الأقل..

وبسبب كل هذا فمشاعر المرأة مباشرة جدًا، ولا تقبل في نظرها المساومة أو التهاون..

وليس لديها اي حل وسط..

فهي إما تحب..

أو لا تحب..

والحب أو اللاحب يحولان المرأة إلى كائنين مختلفين تمامًا..

فإذا ما أحبت، أصبح المحبوب هو كل شيء في الوجود..

ملامحه وسيمة..

دعابته مضحكة..

أفكاره عبقرية..

وحتى أخطاؤه هي نتاج، حكمة، وذكاء، وبعد النظر..

أما لو لم تحب، فكل شيء ينقلب إلى العكس تمامًا..

الملامح تصبح مستفزة..

والدعابات سمجة..

والأفكار غبية..

أما الأخطاء، فهي تعبير عن الحماقة، والسخافة، وقصر

النظر..

ومن الطبيعي أن تسعد كل امرأة في الدنيا، عندما يحبها، حبا من نار، شخص وسيم..

لطيف..

وعبقري..

ومن الأكثر طبيعة أن تضيق، أو حتى تغضب، إذا ما جاء هذا الحب من شخص مستفز، وسمج، وغبي ايضا..

وكل هذا طبعا من منظورها وحدها..

فمن الممكن جدا أن تتفق الدنيا على أن ذلك الذي يحبها، شخص ممتاز، أو رائع، وتتمناه كل أنثى في الدنيا..

ولكنها وحدها، لا ترد هذا..

فلا تحب..

أو تميل..

أو تتفاعل..

وعلى العكس تماما، فقد تجد دهشة عارمة في وجوه الجميع من، سخافة وضالة وتفاهة الشخص، الذي وقعت في غرامه امرأة ما، وذابت في عشقه، كما لم تذب امرأة في عشق رجل من قبل!!

ويا لسعادتها وفرحتها، لو أحبها هو بدوره..

ويا لروعة الدنيا لو كان حبه من ذلك النوع..

الحب النار..

والتاريخ المكتوب، أو حتى الروائي، لا يتوقف طويلا أمام اي حب، حتى ولو كان حبا من نار، لو أنه حب من طرف واحد، ففي هذه الحالة يعتبر دوما، نوعا من الحب اليائس..

البائس..

الفاشل..

اما لو حدثت المعجزة، وأصبح الحب من نار، من الطرفين في آنٍ واحد، فلا احد في الدنيا يمكنه أن يتجاهل هذا..

أو حتى يدير عينيه عنه..

فالنار تلتقي بالنار، ليصنعان معا شلالاً من اللهب، لا يمكنك إلا أن تتوقف أمامه مبهوتا ومبهوراً..

وربما حاسداً أيضا..

ولأنه حب مزدوج من نار، والنار تلتهم كل ما يعترض طريقها في المعتاد، فذلك الحب النادر يبدو أشبه بموجة هائلة، تكتسح أمامها كل شيء في الوجود، لتثبت قوتها..

وتؤكد صدقها..

وتستقر هادئة متماسكة في النهاية..

وراجع معي التاريخ..

التاريخ الفعلي..

و التاريخ الروائي..

من منا يجهل تفاصيل الرواية الخالدة (روميو) و(جوليت)،

عندما ربط بينهما حب من نار، تجاوز الخلافات الأزلية والموروثة بين عائلتيهما، وتحدى عناد وإصرار الأسرتين، وقاتل عنف الجميع لمنع ارتباطهما، الذي لم يكتب له أن يتم في الحياة الدنيا، وانتهى إلى لقاء في الحياة الآخرة.

ومن لم يسمع اشعار (عنترة العبسي)، في محبوبته وابنة عمه (عبلة)، الذي قاتل من اجلها جنود (كسرى)، ليعود إليها بالنياق الحمر..

بل ومن لم تبهره قصة الملك (إدوارد)، الذي تخلى عن عرشه وملكه، وخلع عن راسه تاج (انجلترا) حتى آخر العمر، ليفوز بقلب حبيبته مسز (سمبسون)، ويكتفيان معًا بدوقية (ويندسور) التي احتوت حبهما المشتعل، حتى آخر لحظة في حياتهما..

ولاحظوا انه، في معظم هذه القصص، كان هناك شخص ثالث..

حبيب آخر يتملكه أيضًا حب من النار..

ولكن البطلة ترفضه..

وتنبذه..

بل وتكرهه أيضًا..

الحب إذن من نار، في كل الأحوال..

ولكن ليست كل النيران عظيمة..

محبة..

أو سخية..

هذا ما علمنا إياه التاريخ..

وما لقننا إياه الأدب..

وما أكدته لنا الدنيا..

وما أوصلنا إليه التفكير المرتب المنطقي، عندما نناقش فكرة الحب الملتهب، عندما يتملك الرجل تجاه المراة.

والآن علينا أن نتساءل عما يمكن أن يحدث، لو ان العكس هو الصحيح..

لو أن المراة هي التي تحب الرجل، حبًا من نار!!

صحيح أن الحالات المعروفة في هذا المضمار نادرة، إلا ان هذا لا يعنى انها غير موجودة على نطاق واسع..

كل ما في الأمر، أن المراة ليست لها الجراة الكافية، للإفصاح عن حب من نار يلتهم أعماقها، تجاه رجل لا يشعر بوجودها..

أو حتى لا يدرك هذا..

ولأن ثقافتنا مازالت شرقية، ذكورية، متزمتة، مهما بدا العكس، في الآونة الأخيرة، فالمجتمع يواجه المراة بالصدمة، والاستنكار، والازدراء، وربما النفور أيضًا، لو انها افصحت عن حقيقة مشاعرها، تجاه رجل ما..

فما بالك لو أن مشاعرها هذه من نار!

لذا، فقد نمت المراة، ونشات، وترعرعت، وتربت على إخفاء مشاعرها، وكتمانها..

بل وإنكارها في بعض الأحيان..

ولكن هذا لا يمنعها من السعي المستميت، للفوز بمن أشعل قلبها..

و للمراة في هذا وسائل مختلفة، تبدأ بمحاولة لفت الانتباه، وإيقاظ المشاعر، وتنتهي بمحاولات الإغواء في حالات نادرة..

وبعض الرجال يسعدهم جدًا ان تسعى الأنثى خلفهم، لأن هذا يشعرهم باهميتهم، وكفاءتهم، وجاذبيتهم تجاه الجنس الآخر..

وهذا النوع من الرجال ينبهر، إذا ما لمس نيران حب أنثى ما..

وربما سقط في حبها ايضا، ويوفر لها مشوارًا من السعي والتعب والمحاولة..

او تروق له اللعبة، فيتمادى في إظهار لامبالاته، لينعم بسعيها خلفه اكثر واكثر.. و المراة لديها ذكاء خاص، في هذا المضمار بالذات، وهي تدرك بسرعة حقيقة مشاعر الرجل تجاهها، وتتخذ قرارها بناء على حصيلة دمج مشاعرها بمشاعره، ومن منظورها الخاص جدًا..

فقد تواصل القتال، مع تغيير التكنيك..

او تتوقف، لالتقاط انفاسها، وإعادة دراسة الموقف..

او تدرك انها تخوض حربًا خاسرة..

فتنسحب..

والحالة الأخيرة، لا تلجا إليها المراة ابدًا، إلا إذا ادركت أن

الرجل، الذي شغف به قلبها، واقع في عشق أخرى..

وان تلك الأخرى تبادله عشقًا بعشق..

في هذه الحالة فقط، تدرك ان القتال عقيم، وان جبهة اخرى قد فازت بالنصر في المعركة..

وهذا ليس امرًا حتميًا، بل من الممكن جدًا ان تواصل المراة القتال، على الرغم من كل هذا..

وعندئذ تتحول إلى كتلة من النار بالفعل..

نار تحرق كل ما أمامها، بلا رحمة او شفقة، وتلقي خلف ظهرها كل القواعد والتقاليد، في سبيل الفوز بمن تحب..

والفوز فقط.. والدافع هو الحب نفسه..

الحب النار..

وعلى الرغم من كل ما سبق، ومن الصورة الملتهبة، التي يصنعها الحديث عن الحب النار، إلا انه حب قصير المدى، مهما طال عمره..

تمامًا كالنار..

تحرق، وتنتشر، وتلتهم..

ثم لا تلبث أن تهدأ، وتخبو، وتنطفئ..

وتتحول إلى رماد ساخن، سرعان ما يبرد..

ويبرد..

ويبرد..

فمشكلة هذا النوع من الحب، هو انه يحتاج إلى حطب يزكيه باستمرار، ويضمن اشتعاله على النحو نفسه طوال الوقت..

ومشكلته الكبرى أن طرفيه يعشقانه، ويأبيان التخلّي عنه، أو القبول بتحوّله إلى حب هادئ، عميق مستقر..

ولأن دوام الحال من المحال، فمن الطبيعي أن تهدأ نيران الحب بالارتباط..

وان يفقد سمته الأساسية..

الالتهاب..

وعندئذ يغضب احد المحبين، ويثور، و..

وهذا أمر طبيعي، لأنه يتفق تمامًا مع ذلك النوع من الحب..

الحب النار..

***

5 - وليه لأ..

الحب عيب !!

حرام !!

خطا !!

وهذا ما تربينا عليه في طفولتنا، ونشانا ونحن نسمعه من آباءنا، ومعلمينا، وأهلنا، وكل كبير نلتقي به، ويصنع من نفسه واعظًا، لتلقيننا مبادئ الحياة، دون أن يطالبه احد بهذا..

المدهش ان أحدا لم يحاول تحذيرنا من الكراهية..

والبغض..

والغيرة..

والحسد..

كل المشاعر السيئة كانت بالنسبة لهم امرًا عاديًا، وسليمًا، ولا غبار عليها..

فقط الحب هو الخطا..

كل الخطأ..

موروث عجيب، توارثناه لقرون من الزمان، وغرسه في عقولنا..

وعروقنا..

وقلوبنا..

وحتى في نخاعنا..

والعجيب أننا لم نتوقف لحظة، لنتناقش هذه التحذيرات، ونحاول فهمها واستيعابها..

فمادام الحب أمر خطير وسيء إلى هذا الحد، فكيف يمكن أن نناقشه؟!

بل ومن سيسمح لنا بهذا؟!

فمنذ عقود وعقود، صنعوا أسوارًا عالية وسميكة حول الحب..

ذلك الشعور الغريزي، الذي لا يمكن منعه، أو كبحه، أو تجاهله..

ولان الحب ينمو في الأعماق، ويجرى في العروق مجرى الدم، كنا نعجز دوما عن مقاومته وكبحه..

وكنا نحب..

ونهوى..

ونعشق..

ثم نشعر بالذنب..

والخزي..

والعار..

ولأنهم نجحوا في عمليات غسيل المخ، واقنعونا أن الحب حرام، فإننا نشعر دوما بالتوتر، كلما ساورتنا مشاعر الحب..

وكنا نستغفر الله (تعالى)..

ونصلى كثيرا، طالبين المغفرة..

فقط لأننا أحببنا..

ثم كبرنا..

وكبرت معنا مخاوفنا..

وتعاظم الشعور بالخزي مع الحب اكثر واكثر..

وبالذات لدى الإناث..

فالمجتمعات الشرقية بطبعها، تركز عدوانيتها كلها تجاه الإناث، باعتبارهن كائنات سريعة وسهلة الخطأ، مرهفة الحس، من اليسير إيقاعها في فخ الحب والعشق، من كل محتال..

وكوسيلة لحماية الإناث، اعتاد الكل محاصرة مشاعرهن، وإرهابهن بأنهن سوف يواجهن العقاب، والعار، والغضب الإلهي أيضا، لو أنهن أحببن !!

وأصبحت هذه هي القاعدة..

أن تخفي الأنثى الشرقية مشاعرها..

ان تحتويها..

ولا تفصح عنها ابدًا..

حتى بعد ان ترتبط بزوج المستقبل، وشريك العمر، تظل تلك القاعدة عميقة في رأسها..

وفي كل ذرة من كيانها..

ولان كل ما يستخدم ينمو، وكل ما يهمل يضمر، فقد ضمرت مشاعر الأنثى..

وجفت..

وتيبست..

وتحجرت..

وبالنسبة لكل الأجيال السابقة على الأقل، صار من العسير أن تفصح المراة عن مشاعرها وحبها..

حتى لزوجها..

والعجيب أن الحياة قد استمرت، على الرغم من هذا..

استمرت باردة..

باهتة..

جافة..

استمرت لتحفر معالمها على وجوه المتزوجين والمتزوجات..

على عيونهم..

وشفاههم..

حتى أصواتهم..

ولان فقدان الحب يجعل الحياة سقيمة خشنة، فقد اختفت البسمة من الشفاه، كما ستلاحظ حتما، إذا ما راقبت وجوه السائرين، في أي مكان..

وانحفر البؤس..

والهم..

والغضب..

بل والثورة أحيانا على الوجوه..

كل الوجوه..

السؤال الآن هو لماذا؟.. لماذا نحارب الحب بكل هذه الشراسة؟!

لماذا نتعامل معه بقسوة..

وغلظة..

وعدوانية؟!

ولماذا؟!

ولماذا؟!

ما الذي نربحه، عندما يخلو العالم من الحب؟!

ما الذي يسعد حياتنا، وعمرنا؟!

الحب أيها السادة، هو اعظم وأروع مشاعر في الوجود، فلماذا

نقتله في أعمق أعماقنا، ونمضي في حياتنا بدونه؟!

لماذا نحذفه من قلوبنا، فلا يتبقى فيها سوى كل شعور سلبي؟!

هل ألقيتم على أنفسكم يوما هذا السؤال؟!

بل، وهل حاولتم أن تحبوا؟!

لو أردتم أن تجربوا أعظم شعور في الوجود، فأحبوا..

أحبوا..

أحبوا..

وابدءوا بحب أنفسكم..

أحبوا ما أنتم عليه..

أحبوا هيئتكم..

وعقولكم..

وحياتكم.. فإذا ما أحببتم أنفسكم، فستبدعون في حب كل شيء آخر..

وكل شخص آخر..

ابتسامة واحدة يوميا، يمكن أن تكون بداية جيدة..

ابتسامة كل صباح..

ابتسامة لصديق..

أو قريب..

أو جار..

ولا تندهشوا من هذا..

أو تتعجبوه..

أو تستنكروه..

بل حاولوه..

ابتسموا للحياة..

تذكروا المقولة الشهيرة " اضحك تضحك لك الدنيا.. اعبس تعبس وحدك "..

وتحرروا من كل مخاوفكم عن الحب..

ومن الحب..

واستعيدوا ذاكرتكم..

هل رأيتم يومًا شخصًا يحب؟!

هل شاهدتم مدى بهجته..

وسعادته..

وحبوره..

وحيويته..

ونشاطه..

هل؟!

هل راقبتم إقباله على الحياة..

وعشقه لها..

وطموحاته الكبيرة فيها؟!

لو رايتم، وشعرتم، وراقبتم، وادركتم كل هذا، فاعلموا ان السبب الوحيد له، هو انه يحب..

ثم سلوا أنفسكم بعدها، أمن الضروري بالفعل ان نبقى بلا حب؟!

امن المحتم أن نفتقد الحب..

والحياة..

والابتسامة؟!

فإذا عثرتم على جواب السؤال، ونجحتم في التخلص من كل رواسب الماضي، فابدؤوا مرحلة جديدة..

مرحلة الحب..

وقبل أن تنزعجوا من كلماتي هذه، القوا على أنفسكم سؤالا أخيرًا..

(وليه لأ؟)

* * *

6 - النفس وما تهوى

ترى أية صفة بالتحديد، يمكن أن تدفعك إلى الوقوع في حب شخص ما؟

أهي قوته..

أم جماله..

أم طيبته..

أم روحه المرحة؟

أم..

أم..

الواقع انه لو أجريت استفتاء عاما بين المحبين، لما أمكنك ان تحصر جوابا واضحا في هذا الشان..

لأنه في هذه النقطة بالذات، يختلف كل مخلوق عن الآخر اختلافا بينا، لا يرجع إلى طبيعته وشخصيته فحسب، ولكنه يرتبط بجيناته أيضا، وبحياته ومنشئه على وجه عام..

وربما كان لهذا العامل الأخير التأثير الأعظم، في الغالبية العظمى من حالات الحب..

فالطب النفسي يقول: ان الإنسان يحب في الطرف الآخر امرا افتقده في حياته، ويسعى إليه طيلة عمره..

الشخص الذي حرم من الحنان في طفولته، أو عانى عذابًا أو قسوة، قد يقع في الحب، إذا ما شعر بحنان الطرف الآخر، أو دفء مشاعره..

بل ويجد نفسه مدفوعًا بقوة، نحو أية لمسة حانية، أو همسة رقيقة..

لهذا قد تجد رجلاً غاية في الوسامة، غارقًا حتى أذنيه في حب امراة، يرى الكل أنها تفتقر إلى كل مقومات الجمال أو الإثارة، بل ويبدون دهشتهم الشديدة من شدة عشقه لها، إلا انه في الواقع منجذب إلى حنانها، وما يمنحه إياه من شعور بالأمان والاستقرار..

والعكس أكثر شيوعًا، وهو أن تجد فتاة رقيقة جميلة، تعشق رجلاً خشن المظهر، أو يكبرها في العمر، لأنها وجدت لديه الحنان الذي تبحث عنه منذ طفولتها..

والابنة التي نشأت في كنف أب صارم متزمت، قد تعشق في شبابها شابًا مرحًا منطلقًا..

فمشكلة الحب الرئيسية، هي انه يكمن دوما في جزء خفي عميق من كينوناتنا.. جزء نجهل كل شيء عنه..

وحوله..

جزء يثب من مكمنه بغتة، في لحظة نجهلها، ليسيطر على كل ذاتنا، دون أن نملك له ردًا أو دفاعًا..

وقد لا ندرك حقيقة ذلك الجزء الخفي أبدًا، حتى بعد أن نحب، ونعشق ونتزوج، وننجب أيضًا..

والواقع أن هذا لا يهم..

ليس من الضروري أن نعرف ماهية الحب..

ولا لماذا أحببنا..

المهم أن نحب..

وألا نضيع هذا الحب، مهما كان الثمن..

المشكلة أننا نخشى بشدة حالة الوقوع في الحب، عندما نشعر بها فجاة..

فالناس أعداء ما يجهلون..

وما يعجزون عن فهمه أيضًا..

ففي لحظة يكونون أحرارًا..

وفي اللحظة التالية يجدون أنفسهم أسرى الحب..

هذا لا يعني أن الحب يحدث في لحظة، أو من النظرة الأولى، كما تحب روايات الرومانسية أن تقنعنا..

إنما الواقع أن ننتبه إليه فجاة..

ففي البداية يكون هذا انجذاب..

واهتمام..

ومتابعة..

و..

وفجاة! ياتي عامل ما، ليفجر الحقيقة داخلنا، دون تمهيد..

حقيقة اننا نحب..

وذلك العامل قد يكون غياب المحب..

او مرضه..

او عودته..

او حتى لمحة عن احتمال وقوعه في حب شخص آخر..

والفتيات أكثر من يدركن هذه الحقيقة..

حقيقة العامل الخفي للحب..

فعندما تريد الواحدة منهن اختبار عواطف شخص ما نحوها، تجدها تختفي من حياته فجاة..

او تفتعل معه مشكلة وهمية..

او تروي له ماساة مفتعلة..

المهم ان تفجر داخله عاملاً ما..

عاملاً تجهله..

ويجهله..

وعادة ما ينجح هذا الأسلوب تماما..

ولكن ليس بالضرورة أن يسفر عما تنشده الفتاة..

فقد يدرك الشاب طبيعة مشاعره نحوها..

أو انعدامها..

أو هو لن يدرك انعدامها..

ولكنها هي ستدركه..

وسيتحطم حبها..

وقلبها..

وتتصور أن عمرها قد انتهي..

وانها لن تحب مرة اخرى..

و..

ولكن الزمن سيمر..

ويندمل الجرح..

ويشفي القلب..

ويتفتح..

وياتي حب جديد..

واختبار جديد..

وما تهواه المراة في الرجل، يختلف تماما عما يهواه الرجل في المراة، بسبب اختلاف نوعيتهما، ومنظور كل منهما للحياة..

وللحب..

واختلاف المنظور هذا، هو الذي يسبب كل مشكلات الحب، والزواج، والارتباط بين الجنسين..

ففي آخر الأبحاث العلمية، والتي ترفض الجمعيات النسائية الاعتراف بها في تعنت مضحك، أثبتت الجينات أن الرجل كائن متعدد، والأنثى كائن منفرد..

وهذا يعنى أن قلب الرجل يسمح له بالوقوع في أكثر من حب، في آن واحد، في حين أن المرأة لا يمكن أن تقع إلا في حب شخص واحد، في الوقت الواحد..

وهذه نتيجة تبدو لي علمية ومنطقية، باعتبار أن الذكور في كل الكائنات قادرة على التزاوج مع أكثر من أنثى، في حين أن الأنثى لا يمكن أن تتزاوج إلا مع ذكر الواحد..

والرجل مؤهل للزواج بمثنى وثلاث ورباع (على الرغم من إصرار البعض على نفي هذا)، في حين أن الأنثى غير مؤهلة لهذا !!

المهم أن هذا الاختلاف الجوهري يدفع المرأة دوما لاستنكار تصرفات الرجل، ويدفعه هو لإخفاء تلك التصرفات عنها..

ومن ناحية أخرى، فالمرأة تثق في حقيقة تعدد مشاعر الرجل، بدليل أنها تخشى نظراته لأخرى، وحديثه مع صديقة..

أو زميلة..

أو رفيقة حفل..

وقديمًا كانت النساء تدرك هذا أيضًا، ولكنهن كن يتعاملن مع الموقف أو يتغاضين عنه..

والحياة تسير..

ثم تطورت الدنيا، وحصلت المرأة على حريتها..

ولم تعد تتغاضى..

أو تتنازل..

أو تتجاوز..

وبدأ الحديث عن الشخصية..

والكرامة..

وعزة النفس..

وبدأ القتال..

والصراع..

وتعددت حالات الانفصال..

والطلاق..

ولم يتغير الرجل..

وكل ما حدث هو أنه قد تعلم كيف يخفي انفعالاته أكثر..

وأكثر..

وأكثر..

ولأن مشاعر المرأة أكثر رقيًا من مشاعر الرجل..

وأنها ترغب أكثر في الأمان والاستقرار..

فقد عاد الأمر يتراجع..

ويتراجع..

ويتراجع..

وعادت النساء تتغاضى..

وتتجاهل..

وتتنازل..

و..

ويبقى الحب، هو الصمام..

صمام الأمان..

الوحيد..

* * *

7 - عندما يرحل الحب

مهما بلغت العلاقة بين اثنين، ومهما تصور كل منهما انه قد صار يعرف الآخر كما يعرف نفسه، فما من مرة، امكنني فيها أن احصل على جواب منطقي عندما يرحل الحب..

ففي لحظة، ما تبدو دوما غامضة مفاجئة، لأحد طرفي المعادلة، قد يسمع احد الطرفين من الطرف الآخر عبارة ؛ "لم اعد اشعر بك كالماضي.".. ومع سماعها يصاب ذلك الطرف بالدهشة..

والغضب..

والحيرة أيضا..

ففي كل المرات، مهما تعددت الحالات، يحدث هذا فجاة..

وبلا مقدمات..

وهذا ليس واقع الأمر، ولكنها الصورة التي تبدو دوما للطرف المصدوم، والمطالب بالخروج من اللعبة..

وهي صورة غير صحيحة..

في كل الأحوال..

فالواقع انه تكون هناك دوما مقدمات..

وتمهيدات..

وإشارات..

وتلميحات..

ولكنه لا يراها، أو يشعر بها، أو حتى يدركها..

ولعل هذا احد أهم أسباب الانفصال..

فمع بداية الحب، تنتاب كل منا شراهة عجيبة، تدفعنا إلى ان ننهل من حبنا هذا بمنتهى النهم..

ولان الحب في مجمله غزير وفياض، فنحن ننهل، وننهل، وننهل، حتى نتصور انه نبع لا ينضب ابدا..

انه نبع طبيعي، محدود الكمية، على الرغم من غزارته..

والينابيع الطبيعية ترتوي بمياه الأمطار، ثم تمنحنا ماءها العذب..

والحب أيضا يحتاج إلى تلك الأمطار، ليبقى.. ويستمر..

ويستمر..

والأمطار هي مردود للحب..

فانت تنهل من حبيبك بقدر ما تستطيع، وتمنحه أيضا بقدر ما يمكنك، حتى ينهل ويرتوي منك بدوره..

وينمو..

وينتصر..

ولكن من الواضح أن كل ما ندركه عن الحب هو الأخذ، وليس العطاء..

الاستمتاع، وليس المسؤولية..

لذا، فهو ينهار بسرعة..

ويذبل..

ويرحل..

وعندما يرحل الحب، يبدأ العذاب الأكبر..

ففراغ ما بعد الحب، لا يمكن أن يسببه أي فراغ آخر، في أية مرحلة مختلفة من الحياة..

وبالذات فراغ ما قبله..

فقبل أن نحب، نعانى من فراغ القلب، ولهفته إلى الحب..

والتقارب..

وتبادل المشاعر..

والعواطف..

والأحاسيس..

ثم يأتي الحب..

ومعه يأتي كل هذا..

ويخفق القلب..

وينتعش..

ويحيا كما لم يفعل من قبل..

أبدًا..

ومع استمرار الحب، يعتاد المرء هذا الشعور..

ويدمنه..

ويتعايش معه..

وبه..

ثم تاتى تلك الصدمة..

ويرحل الحب..

ومع رحيله، تنهار كل تلك المشاعر، وتترك في القلب خلفها فراغا..

فراغًا هائلاً كبيرًا..

فراغًا ليس بحجم القلب، بل بحجم الكيان كله..

وربما اكبر منه..

ألف مرة..

وللوهلة الأولى، قد يغضب المرء، لأنه قد فقد الحب..

ثم، ومع مرور الوقت، يتحول الغضب إلى مرارة..

ولوعة..

وفراغ..

القلب الذي اعتاد أن يخفق كطير سعيد، توقفت خفقاته، وانهارت سعادته، ولم يعد لديه مبرر واحد ليبقى في صدر محب قديم..

وتنهار المشاعر كلها، واحدًا بعد الآخر، كما لو انها كانت مربوطة كلها بخيط واحد..

خيط حب..

وفي بعض الأحيان، قد يؤدى هذا إلى مراجعة النفس..

ومصارحتها..

وكشف أسباب الرحيل..

وفي تلك الحالات، يتضاعف العذاب اكثر..

واكثر..

واكثر..

فالمرء يدرك عندئذ انه المسئول عن الفراغ..

أن إهماله لعواطف ومشاعر شريكه، هي التي قتلت الحب..

ولحظتها سيشعر بالندم..

والألم..

وعذاب الذات..

وربما يسعى، بكل طاقته، لإصلاح الخطأ، واستعادة من

يحب..

ولكن نادرًا ما يفلح هذا..

فالطرف الآخر عانى العذاب نفسه من قبل، ولكن بصورة عكسية تماما..

عاناه، وهو يحاول أن يوضح الصورة، وينيرها..

ويلقى الضوء على نقاط القصور..

والأنانية..

والفشل..

ولكنه واجه كل هذا بتجاهل تام من الآخر..

أو بعدم فهمه..

أو بانانية، استولت على كل المشاعر، وأهملت ردود الفعل في الجانب الآخر، اثناء انشغالها بتلبية متطلباتها، وتغذية متعتها..

وعندما اتخذ الطرف الأول قرارا، لم يكن هذا سهلاً أو هينا..

بل جاء أيضا بعد عذاب..

وعذاب..

وعذاب..

وبعد الف محاولة ومحاولة..

وعندما أصابه اليأس من إصلاح الموقف، أو دفع الطرف الثاني

إلى الإحساس به، ومعاملته كبشر، له مشكلاته ومتاعبه، وليس كمجرد مصدر دائم للمتعة، اتخذ اخطر قرار..

قرار الانفصال..

والقرار في طبيعته يختلف، عندما يتخذه الذكر، أو تتخذه الأنثى..

فالذكر قد يتخذ قرار الانفصال لأسباب أوهى، مثل انشغاله باخرى، أو شعوره بالملل من نمطية العلاقة، أو حتى لمجرد التغيير..

أما الأنثى فلا تلاحظ هذا القرار إلا لأسباب اكبر..

وأعنف..

واخطر..

هذا لأن الأنثى، بغريزتها، أميل للاستقرار والهدوء..

وهي لا تهوى التغيير المستمر..

لذلك، فهي تبذل قصارى جهدها في الغالب، لاستمرار العلاقة..

وفي سبيل هذا تتحمل الكثير..

والكثير جدا..

كما أن الأنثى أيضا لديها مقدرة اكبر على التسامح..

والتجاوز..

والغفران..

وكل هذا في سبيل استمرار العلاقة..

لذا فهي قد تغفر للذكر..

وتتجاوز عن اخطائه..

وإهماله لمشاعرها..

وحتى عن عيونه الزائغة..

ولكن المشكلة انها لا تنسى أبدا..

كل ما تفعله، هو أن تختزن هذا، في ركن قصي من عقلها..

وقلبها..

ومشاعرها..

ثم تكرر الأخطاء..

وتتكاثر..

وتحتشد هناك في ذلك الركن..

ومع مرور الوقت، يكتظ الركن بما فيه، ويختنق به، ولا يجد متنفسًا واحدًا للمزيد..

وهنا يصبح الاحتمال مستحيلاً..

والانفصال اكيدًا..

وينهار الحب..

ولأنه قد انهار بعد معاناة طويلة، وكفاح مرير، واحتمال فاق طاقته، فان العودة إليه تكون عسيرة..

وربما مستحيلة..

وهنا يدرك الطرف الثاني فيما اخطا..

وكيف خسر معركته..

ومشاعره..

ويدرك هذا فقط عندما تنهار العلاقة..

وعندما يرحل الحب.

* * *

8 - الذروة..

في كل مرحلة من مراحل حياتنا، هناك حتماً ذروة..

ذروة يبلغ فيها الشيء - اي شيء - قمته، ومداه، ويصل إلى اقصى ما يمكن أن يصل إليه..

هناك ذروة للنجاح..

وللفشل..

وللغضب..

وللفرح..

وايضاً للحب..

ولكن المدهش، في كل الحالات، هو أن الإنسان لا يدرك قط انه بلغ ذروته..

الشخص يمكن أن ينجح، ويواصل النجاح والتقدم، ولكنه لا يدرك قط انه قد فاق اقرانه بكثير، وانه قد تجاوز كل الحواجز، وبلغ ذروة لم يبلغها سواه..

ربما يشعر الآخرون بهذا، اما هو، فينشغل بنجاحه عن إدراك ذروته..

ثم تبدأ الذروة في الانحسار..

ويدرك المرء أين كان بالضبط قبل هذا..

وهذا يحدث أيضا في كل الأحيان، وبالذات في الحب..

وبلوغ ذروة الحب أمر لا يدركه العديد من المحبين، إذ انه من الطبيعي أن تتدرج المشاعر، من الود، إلى الإعجاب، إلى الانبهار، إلى الحب..

ثم يتطور الحب..

ويتطور..

ويتطور..

وإذا ما كان الحب متبادلا بين الطرفين، فسيبلغان ذروته، دون حتى أن ينتبها إلى ذلك..

وذروة الحب أمر جميل..

بل هو أجمل ما في العلاقات الإنسانية كلها..

فمع ذروة الحب، يتوقف الطرفان عن التعامل من منظور فردى، ويبدآن الانتقال إلى المعيار المزدوج..

كل شيء أصبح يرتبط بهما معا، وليس بأحدهما دون الآخر..

كل شيء..

العواطف..

المشاعر..

والأحاسيس..

وحتى الأحلام..

افكارهما نفسها تحويهما معا، فلا احد منهما يتخيل حياته من دون الآخر، ولا يرى مستقبله إلا معه..

الوجبة الواحدة لا يصبح لها مذاق، إلا إذا تناولاها معا..

الحلم يكمله احدهما للآخر..

رويدا رويدا، وتمتزج روحاهما، ويصبحان أشبه بشطري المخ، لا يمكن أن يعمل احدهما دون الآخر، وإلا أصيب الجسد بشلل كبير..

ومع الحب، تمتزج الأهداف والنوايا، وتتقارب الأفكار والطموحات، وتصبح سعادة احد الطرفين هي الهدف الأسمى للطرف الآخر..

حتى الألم، يتحول إلى لذة، لو أن ثمنه هو ابتسامة سعادة، أو نظرة حب، لدى الطرف الثاني..

وعندئذ يكون الاثنان قد بلغا الذروة..

ولكنهما لن يدركا هذا..

لن يدركاه حتى تحدث الرجة.

ومن المؤسف انها تحدث دوما..

الإنسان داخله شيطان ما، يتوتر إذا ما بلغ ذروة السعادة، فيبدأ في نبش كل خلية من خلايا المخ، في محاولة لإيقاظ لمحة ما، أية لمحة، يمكن أن تفسد الهناء..

والعجيب انه ينجح في كل الأحوال..

ربما النفس البشرية ضعيفة، أو أنها أمارة بالسوء كما يقولون..

ففي ذروة الحب، لابد وان يبدأ احد الطرفين في التمرد على نحو أو آخر..

والبداية تكون دوما من رفض الازدواجية..

في مرحلة ما، لا يمكن تحديدها قط، يبدأ ذلك الشق الصغير في التكون، وسط العلاقة الازدواجية الجميلة..

شق يبدأ أصغر من أن يلفت الانتباه، أو أن يتوقف عنده احد..

وربما ينشأ من موقف..

أو حدث..

أو حتى كلمة قيلت..

المهم أن شيطان الفساد يتلقى هذا، ويضخمه، ويضيف إليه عشرات الأحداث الصغيرة، عبر علاقة طويلة..

وهنا يتسع الشق..

ويتسع..

ويتسع..

وفي لحظة ما، تتهاوى الازدواجية، وتعود الفردية للسيطرة..

وكل طرف من الطرفين يبدأ الحديث عن نفسه..

عن مشاعره، وأحاسيسه، وعذاباته، وآلامه..

وعن كل ما تحمله، لتستمر العلاقة..

وكل شخص يفكر في نفسه فقط، دون الآخر..

ومع التفكير والفردية، تبدأ مرحلة التحدي، والرغبة في إثبات الذات..

ويتسع الشق اكثر، واكثر، ويتحول إلى هوة ساحقة..

وربما يتدخل البعض، أو حتى يجلس الطرفان للمناقشة، وتحل المشكلة، ويعود المحبان إلى بعضيهما البعض..

ولكن ليس إلى الذروة..

فالذروة قد ذهبت..

والى الأبد..

ما حدث بينهما سيظل دومًا اشبه بشرخ ما، في لوح من الزجاج البلوري النقي..

صحيح أنه لن يؤدي إلى انهيار الزجاج، إلا انه سيفقده نقاءه وشفافيته..

وسيظل الشرخ مرئيًا دومًا..

ويستحيل أن يعود لوح الزجاج إلى شفافيته الكاملة أبدا..

وكذلك الذروة..

وأنها إما أن تكون، أو لا تكون..

وأبدًا لا تعود..

الوسيلة الوحيدة للحفاظ على ذروة الحب إذن، هي ألا نفقدها إذا ما وصلنا إليها..

وهذا ليس بالأمر السهل..

وليس بالمستحيل أيضًا..

كل المطلوب منا هو أن نزيد مساحة الحب في أعماقنا، حتى تحتل القدر الأكبر من مشاعرنا، فتنزاح إلى جوارها كل المشاعر والعواطف السلبية الأخرى..

أن نثق فيمن نحب..

في مشاعرنا نحوه..

ومشاعره نحونا..

نثق في أن كل ما يفعله هو بدافع الحب وحده، وليس باي دافع آخر..

حتى لو اخطأ، لابد وان ندرك ونثق في انه لم يقصد هذا، ولم يتعمده، ولم يسع قط لإيذائنا..

الحب هو الثقة، والاقتناع، والإيمان بحسن النوايا والمقاصد..

لو افترضنا فقط حسن النية، ستسير سفينة الحب في بحر الحياة، حتى لو انقلبت. أو هاجمتها العواصف..

والحياة لا تخلو من العواصف..

وفيها يثبت الحب وجوده..

فالحب لا يبلغ ذروته، لان المحبين يتشاركان ساعات الفرح والسعادة والهناء فحسب، ولكنه ينمو ويزدهر، عندما يواجهان معًا المصاعب والعواصف..

ولن نبالغ لو قلنا: أن الأزمات تصنع حبا يفوق ما تصنعه أيام السعادة والهناء..

بل تصنع ما هو أقوى من الحب..

الثقة..

وما يساعد ذروة الحب على الاستمرار هو الثقة..

والثقافة..

وهدوء النفس..

ولست اشك لحظة، في أن نصف من سيقرؤون هذا المقال سيسخرون من كل كلمة جاءت فيه، وسيؤكدون أن الحب نفسه لم يعد موجودًا، فما بالك بذروته !!

ثم أن بعضهم سيشكك في نمو العواطف والمشاعر، في مثل هذا الزمن الصعب..

زمن المادة كما يطلقون عليه..

والواقع انني اشعر بالكثير من الشفقة على من يفكرون بهذا الأسلوب، ومن حرموا انفسهم من الشعور بأسمى عواطف البشرية..

فالحب موجود دوما، مهما تعقدت الحياة، أو زادت ماديتها..

بل انه ينمو ويزدهر اكثر، في المجتمعات المغرقة في المادية، نظرا لان الناس يكونون فيها اكثر حاجة إلى الحب..

والى كل العواطف..

كل ما في الأمر، هو أن البعض أصيب بحالة من جفاف المشاعر، أو عدوى القساوة، مبررًا هذا بصعوبة المعيشة، وضعف الإمكانيات، أو غلظة تعامل الناس مع بعضهم البعض..

ولست أظن الدنيا يعنيها هذا..

فمهما كانت مشاعرنا، وظروفنا، وسبل عيشنا، فسنحيا مرة واحدة لا غير..

مرة ينبغي أن نستمتع فيها بكل ما أحله لنا الله (سبحانه وتعالى)، إذ من الجحود أن يمنحنا نعمته (عز وجل)، فنتجاوز عنها لأي سبب كان..

وحتى لو كانت الحياة قاسية، فلماذا لا نبحث فيها عن قبس من السعادة..

لمحة من النور..

همسة حب..

لم لا؟!

سل نفسك هذا السؤال، وابحث عن جوابه، وتذكر انك ستحيا مرة واحدة..

وذروة واحدة..

في النجاح..

والحياة..

والحب..

* * *

الفهرست

» د. أحمد خالد توفيق «

عن الحب والرعب 5

» د. تامر ابراهيم «

تلك الأشياء 14

» محمد فتحي «

عن الحب والغيرة العبيطة................ 25

» محمد سامي «

الشياطين أيضا.. تحب! 37

» م. سند راشد دخيل «

كسر شفرة الحب ! 91

» د.تامر أحمد «

من سيحضر المأذون؟ 99

» د. نبيل فاروق «

حبيبي 125

7 وجوه للحب

دار ليلى ودايموند بوك

الثمن في مصر
10 جـ